الـجـمـهـورية الـجـزائـريـة الـديـمـقـراطـيـة الـشـعـبـيـة

وزارة الـتـعـلـيـم الـعـالـي والـبـحـث الـعـلـمـي

جامعة ابن خلدون – تيارت–

كلية العلوم الإنسانيّة والعلوم الاجتماعيّة

قسم العلوم الإنسانية

مسار التاريخ

مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر

آثار جامعة الجزائر على المجتمع الجزائري

(1909م -1962م)

إعداد الطالبتين:

- خياطي حياة
- سي بشير حياة

إشراف الأستاذ:

د .مداح عبد القادر

أعضاء اللجنة	
د.ة- حرشوش كريمة	رئيسـا
د – مداح عبد القادر	مشرفا ومقررا
د – بوحموم محمد	مناقشـا

السّنة الجامعيّة:

2018م/ 2019م

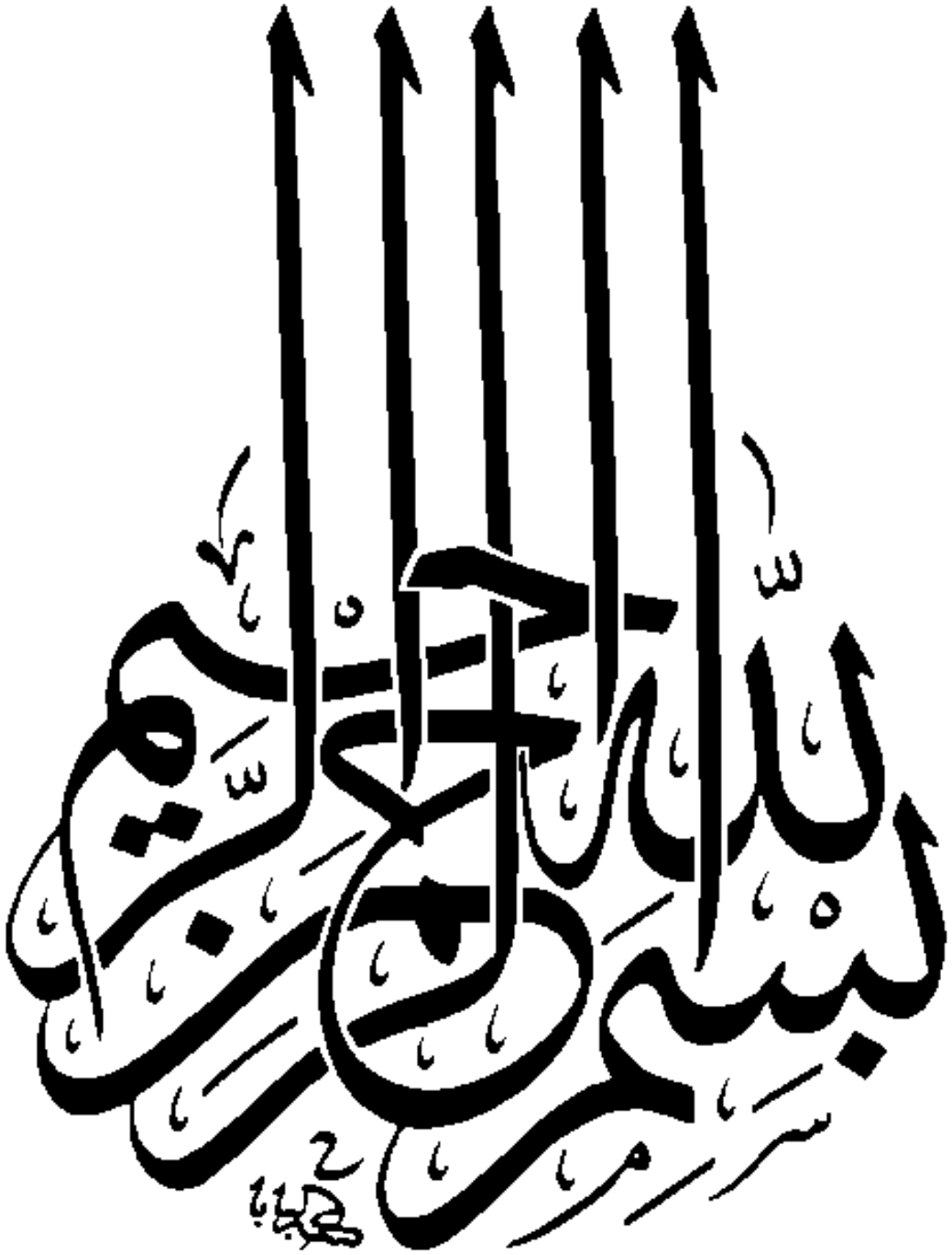
بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ آل عمران: ٨١

بقدر ما تعلمت مزيدا طلبت

لا ساحل لبحر العلم ما حييت

وإن ظننت للعلوم قد اكتفيت

فقعت إبصارا عن الفكر عميت

خياطي مختار

شكر و عرفان

الحمد لله حمدا كثيرا كما أمر ، والصلاة والسلام على خير البشر وعلى آله صحبه المسلمين الغرر

- كيف تعبر؟ لا تدري؟

ولكن ألستنا تجري

شاكرين وذاكرين أفضالكم ، معترفين بجميل مدد عونكم وتوجيهكم وإرشادكم

نشكر كل يد قدمت ساعدها لنا من أجل طرح هذه الأطروحة التي عنونتها بعنوان :

" آثار جامعة الجزائر على المجتمع الجزائري 1909 – 1962 "

تتقدم بالشكر الجزيل والامتنان الكبير إلى كل منّ

* المشرف الأستاذ الدكتور : عبد القادر مداح .

* والسادة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة

* وإلى كل من قدم لنا يد العون من أساتذتنا الكرام اللذين عاشرناهم متعلمين ومقتبسين من نور تعليماتهم وتعليمهم لنا .

* إلى كل طاقم الجامعة إدارة وأمانة وطاقم المكتبة الجامعية ، اللذين ساهموا في إعانتنا وتوفير متطلباتنا .

وامتثالا لقوله صلّى الله عليه وسلّم: **"لا يَشكُرُ اللّهَ من لا يَشكُرُ النّاسَ"** (سلسلة الأحاديث الصحيحة 776/1).

شكرا جزيلا لكم وبارك فيكم ونفع بكم .

إهداء

1 . إلى الوالدين

اللذين غرسا غصن وجودنا في دنيا الوجود وبماء الرعاية سقونا زلال الإرشاد والتوجيه و بعطف حنانهما تغذينا طعم الاتزام بالقيم الفاضلة

* كان لنا أرضا مطيبة وسماء دفء محمية .
* إلى إخوتي وأخواتي سندا داموا لنا .

إلى كل من علمنا وسهر على تربيتنا، معلمين وأساتذة من أول يوم بدأنا نتعلم إلى غاية يوم تخرجنا.

* إلى جميع أفراد عائلتنا من أعمام وعمات وأخوال وخالات .
* إلى كل الأصدقاء والصديقات .
* إلى روح جدي وجدتي رحمها الله فرحا بوجودي وتمنوا نجاحي.

الجد : باركني بلمسة يده والدعاء لي.

الجدة : حضنتني بحضن عناق إلى قلبها ضمتني .

مقدمة

مقدمة

منذ العهد العثماني عرف التعليم الجزائري نشاطا واسعا متمثلا في التعليم العربي الإسلامي بمؤسساته المختلفة كالكُتاب والزوايا والمساجد والتي ارتبط نشاطها بالعبادة والتعليم واستمر حتى مع الاحتلال الفرنسي الذي عمل منذ البداية على القضاء عليه واستبداله بالتعليم الفرنسي القائم على مبادئ وأسس فرنسية والذي ظل طول فترة الاحتلال مسخرا لخدمة حاجات وأهداف الفرنسيين الأوروبيين ،إلا أن فئة قليلة جدا من الجزائريين التي استفادت من هذا النظام ومع طول مدة الاحتلال كان لابد من أجل تغيير البنية الاجتماعية من خلال التراكيب فإن إنشاء الجامعة يرتبط بالمقومات الحضارية للأمة المنشأة لها ، وتم ذلك في 1909وهذا بموجب قانون 30ديسمبر 1879وهذه الجامعة عرفت تطورات نوعية وهيكلية متنوعة ومتعددة لكنها كانت تهب إليها في خدمة الأهداف الاستعمارية وبالنسبة لسبب اختيارنا هذا الموضوع هو من أجل التعرف على واقع تعليم جامعة الجزائر في هذه الفترة لما لهذا الموضوع من أهمية بالغة حيث من خلاله يمكننا التعرف على بنية هذه الجامعة ودورها في المجتمع الجزائري ،والتعرف على الإصلاحات التي قامت بها وما الهدف من إنشاء الجامعة في الجزائر ومن هنا نقدم نظرة شاملة على هذا الموضوع في فترة زمنية محددة .

الإشكالية

إن الموضوع المعالج يطرح الإشكالية التالية:إلى أي مدى يمكن إثبات بأن الإصلاح الجامعي كان له أثر في تغيير البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري ؟

ويمكن أن نوسع في الإشكالية بتحديد منطلقات جزئية لها وأسئلة فرعية لا تقل أهمية عن محور الإشكالية وهي كالتالي:

- هل كان للجامعة أثر على المجتمع الجزائري؟
- ماهي الأهداف الاستعمارية المتوخاة من إنجاز مشروع بمستوى جامعة الجزائر؟
- –هل تأثر المجتمع الجزائري بالإصلاحات التي جاءت بها الجامعة؟

- ما هو رد فعل المجتمع الجزائري على تأسيس الجامعة ؟

ومن أجل إنجاز هذا البحث ينبغي الإجابة عن تلك التساؤلات والإشكالية المطروحة قمنا بتقسيم البحث إلى مقدمة وفصل تمهيدي وفصلين وخاتمة .

فالفصل التمهيدي تناولنا فيه التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني وخطة البحث كانت كما يلي:

الفصل الأول: نبذة عن جامعة الجزائر واحتوت على أربع مباحث: المبحث الأول: السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر ، المبحث الثاني: تعريف ونشأة جامعة الجزائر، المبحث الثالث: فروع جامعة الجزائر ، المبحث الرابع: الأهداف العلمية والاستعمارية للجامعة.

الفصل الثاني: تناولنا فيه إصلاحات فرنسا في جامعة الجزائر وأثرها على المجتمع الجزائري ضمن المباحث التالية

المبحث الأول: هياكل ومرافق الجامعة، المبحث الثاني: إصلاحات جامعة الجزائر، المبحث الثالث: آثار الجامعة على المجتمع الجزائري، المبحث الرابع: ردود الفعل على جامعة الجزائر .

لقد اعتمدنا في صياغة بحثنا على التحليل المبسط بشرح المفاهيم الأساسية وعرض الأحداث والتطورات التاريخية مع الجمع بين عدة مناهج .

1-المنهج التاريخي التحليلي :وكان التحليل فيه قائما على عرض الأحداث التاريخية تماشيا مع موضوع البحث .

2- المنهج المقارن: اعتدنا فيه على مقارنة بين وضع تعليم لكل الجزائريين والمعمرين وكشف الألاعيب الاستعمارية التي كانت تدعي نشر الحضارة .

3-المنهج الإحصائي: تمثل في الاستعانة بجداول إحصائية تسهل لنا عملية الفهم والاستيعاب واستخراج الاستنتاجات.

ومن الصعوبات التي اعترضتنا أثناء إنجازنا لهذا البحث هي غياب الدراسات المهتمة بهذا الجانب وقلة المعلومات بالرغم أن الموضوع له أهمية كبيرة وسبب قلة المعلومات أن الجامعة لم تتطور وتأتي بالجديد ومن الآثار السلبية هي عدم التغيير في الإصلاحات التي مازالت إلى يومنا هذا والتي لم تتغير ومازالت إصلاحات جامعة الجزائر تتبع إصلاحات الغرب ولم تعتمد على أسلوبها وثقافتها في تطوير جامعاتها والدليل على ذلك أننا نحتل المراتب الأخيرة في ترتيب الجامعات الدولية وأثناء قيامنا ببناء خطة البحث اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع المتنوعة منها العربية والفرنسية وحوليات ومقالات متعلقة بالتعليم في جامعة الجزائر أثناء الاستعمار ومن بين المصادر المعتمد نذكر منها ما يلي:

-أحمد توفيق المدني ،حياة كفاح .

-شريف بن حليس ،الجزائر الفرنسية كم يراه أحد الأهالي .

-حمدان بن عثمان خوجة ،المرأة.

-والمراجع :

-عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر.

-أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج 6.

-رابح تركي ،الشيخ عبد الحميد بن باديس .

إضافة إلى مجموعة الملاحق .

وفي الأخير قمنا بخاتمة كحوصلة للموضوع الذي تطرقنا إليه محاولين الوقوف وكشف بعض جوانبه ولا ندعي الكمال ولا يعني ذلك خلوه من التغيرات العلمية والتي نأمل أن نجد أقلاما تغوص في هذا الموضوع لتثريه ،وتصحيح ما بدر منا من أخطاء.

_قائمة المختصرات:

_ ط: الطبعة.

_ تر: ترجمة.

_ ج: الجزء.

_ص: الصفحة.

_ p:Page

_ Op.cit : المرجع السابق.

_ م: ميلادي.

مدخل

حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني

حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني:

كانت حركة الثّقافة والتّعليم في الجزائر قبل دخول العثمانيين تتركز في ثلاث حواضر أساسية هي: مدينة تلمسان في الغرب الجزائري ومدينة بجاية ومدينة قسنطينة في الشرق الجزائري ،وكانت تعدّ بحق مراكز للتّعليم والثّقافة والإشعاع الفكري فقد ازدهرت فيها العلوم والآداب والفنون لعدة قرون .

وإذا كانت حركة التّعليم والثّقافة قد انحصرت في هذه الحواضر الكبيرة وفي عدد آخر من الحواضر الصّغيرة كمدينة الجزائر ،ووهران وبسكرة ،فإن الريف ظل في أغلال الجهل ،ولم يأخذ حظه من التّعليم وكان أبناؤه من الطّلاب تجذبهم حياة المدينة فيستقرون فيها بعد تخرجهم .هكذا كانت حالة التّعليم والثّقافة في حواضر الجزائر وريفها قبل دخول العثمانيين واستقرارهم في البلاد فلم يكن هناك توازن أو شبه توازن في التّعليم في قطاع الحواضر وقطاع الرّيف .[1]

وبدخول العثمانيين للجزائر شهدت الجزائر وضعا تعليميا قد يكون خاصا مقارنة بما شهدته في مراحل سابقة ولاحقة ،من حيث المواد المدرسة ومستويات التّعليم ومراكز الإشعاع الثّقافي ،والمرجع المؤسساتي على الممارسة التعليمية .

وإنّ اللاّفت للانتباه أنّ التّعليم في هذه الفترة لم يكن نظاميا معتمدا من طرف الدولة فإذا رجعنا إلى تاريخ التعليم الجزائري في هذا العهد (العهد العثماني)نجد أنه لم يكن هناك وجود نظام رسمي قائم، حيث كان يغلب عليه الطّابع الذاتي الحر "نظام يخضع لموروث تقليدي يضم عدة مؤسّسات تعليمية: الكُتّاب الزوايا ،المساجد، تمثل التّعليم العربي التّقليدي السّائد في المجتمع الجزائري منذ القدم، والذي استمرت وظيفته حتى بعد الاحتلال الفرنسي"

[1] العيد مسعود،حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني ،مجلة سيرتا العدد3،قسنطينة ،ماي 1980،ص58

ونستشف هذا الطابع الذاتي الحر الذي لازم التعليم آنداك من مبادرة الأفراد.[1]التي أحدثت فارقا، كونها ارتقت إلى مستوى الظّاهرة ،فكان سكان كل قرية ينظمون بطرقهم ووسائلهم الخاصّة تعليم القرآن والحديث والعلوم العربية والإسلامية ،لأن دراسة مثل هذه العلوم هي السبيل إلى معرفة وفهم أسرار الدين والقرآن والسنة ولذلك كان القرآن أساسا للتعليم في الجزائر سواء كان تعليما ابتدائيا أو ثانويا أو عاليا.

يعدّ هذا البعد الشّعبي في الاحتفاء بالنّشاط التّعليمي من العوامل التي جعلت التّعليم في الجزائر خلال العهد العثماني منتشرا انتشارا واسعا حتى غطّى كلّ المناطق بما في ذلك القرى والمداشر ،رغم أنّ السّلطة العثمانية ركزت فقط على المحافظة على الاستقرار السياسي والدّفاع عن الحدود وجمع الضّرائب لبيت المال ولم تتدخل في شؤون التّعليم باستثناء بعض البايات مثل: محمّد الكبير وصالح باي.

إنّ هذا النّشاط التّعليمي الخاص الذي تبنته الجهود الفردية والمؤسسات الخيرية من كتاتيب وزوايا ومساجد كما تبناه رجال الدولة بصفتهم أفرادا لا قطاعا حكوميا يرجع إلى أن العثمانيين في الجزائر لم يهتموا بالجانب الثّقافي بقدر اهتمامهم بجوانب الحياة الأخرى .وأن مشعل العلم قد تكفل به الجزائريون رغبة منهم في الازدهار الثقافي ،وللمحافظة على ما توارثوه من علوم ومعارف عبر الأجيال كجزء من التراث العربي الإسلامي.[2]

وهذا لأن العثمانيين حاولوا تثبيت سلطانهم في البحر الأبيض المتوسط ضد القوى الأوروبية من برتغاليين وإسبان وفرنسيين ...وانصرف هؤلاء إلى الجهاد البحري والعمل الحربي قصد حماية الثّغور الإسلامية [3] هنا اشتد الصراع حول المدن الساحلية مثل وهران بجاية الجزائر، جيجل....التي أصبحت

---

[1]صليحة بردي ،الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني،مجلة الذاكرة ،العدد11،الجزائر جوان 2018،ص129

[2]المرجع نفسه ص129-130

[3]صالح عباد ،الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر 2005 ص355

تعيش خطرا مستمرا من هذه القوى .ومن هنا انتقلت العلوم والمعارف والحركة العلمية من المدينة إلى الريف ،وذلك بتأسيس الزوايا العلمية والدينية التي تمثلت وظيفتها في نشر التعليم وإيواء الضيوف.[1]

ويعود سبب انتقال العلم من المدن الساحلية إلى المدن الداخلية (أثناء القرن السادس عشر 16)إلى العوامل التالية:

-سقوط غرناطة سنة 1492باعتبارها آخر معقل للمسلمين في الأندلس واشتداد سياسة وحروب الاسترداد ،وخشية المدن الساحلية من التوسع المسيحي الكاثوليكي في البحر المتوسط وانتقاله إلى أراضيهم خاصة في الغرب الجزائري الذي بلغه المورسكيون[2] واستقرارهم في الغرب الجزائري.

-سقوط بجاية في يد الإسبان سنة 1510م وهروب سكانها وعلمائها إلى المناطق الداخلية طلبا للنجدة والاستعداد لتحريرها من أيدي المسيحيين خاصة أنها كانت من أهم الحواضر الإسلامية في عهد الحماديين.

-مساهمة الزوايا العلمية والتي كان لها دور في انتقال المعارف إلى الريف دون عناء لتمركزها في هذه المناطق، وبذلك حدث توازن في الحركة العلمية بين الريف والمدينة وانتشرت المعارف عبر مؤسسات مختلفة.[3]

المؤسسات التعليمية:

كانت تعرف في العهد العثماني بمعاهد التّعليم وتمثلت في: الكتاتيب والزوايا والمساجد والمدارس.

---

[1] حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني ص58

[2] الموركسيون هم المسلمون الفارّون من الاضطهاد المسيحي في إسبانيا بعد محاكم التقتيش.

[3] محمد بن ميمون الجزائري ،التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ،تح محمد بن عبد الكريم، الجزائر1972،ص59

فأمّا الكتاتيب في هذا العهد فقد كانت تمثل المرحلة التّعليمية الأولية ،أي كان موطن التّعليم الأولي أو المدرسة الابتدائية بمفهوم عصرنا الحاضر .والكتّاب في الجزائر بدوي وحضري فأما البدوي يسمى "الشريعة" –أي محل تعليم الشريعة –وهو عبارة عن خيمة وسط البدوي ،وأما الحضري فيسمى مسيد أو مكتب.

و يلتحق الأطفال بالكتّاب حيث يبلغون سن السادسة حيث يتعلمون القراءة والكتابة واستظهار كتاب الله، يضاف إلى ذلك أحيانا تعلم بعض مبادئ الحساب أما طريقة التعليم المتداولة فلا تعدو تمرين الذاكرة على الحفظ والتدريس على صناعة الخط والزخرفة.

و كان عدد من يتعلم من الصبيان في كل كتاب ما بين الخمسة عشر والعشرين صبيا.[1]

وكان كل حي في المدينة يتولى تعيين معلم يشترط فيه أن يكون مثقفا ،ورجلا خيرا وبعد أن يقضي الصبيان ثلاثة أو أربعة أعوام في الكتّاب تنصرف الغالبية منهم لتعلم إحدى الحرف المهنية أما الذين يرغبون في مواصلة دراستهم فيبقون في الكتّاب سنين أخرى لحفظ القرآن كله عن ظهر قلب وإتقانه.

وقد كان هذا النوع من المؤسسات التعليمية منتشرا في طول البلاد وعرضها ،الأمر الذي أدهش القادة الفرنسيين عقب احتلالهم للجزائر إذ كتب الجنرال دوماس في تقرير له في هذا الصدد يقول "أن التعليم الابتدائي في الجزائر كان أكثر انتشارا مما يتصوره الإنسان عموما فاتصالاتنا بالأهالي في الأقاليم الثلاثة أظهرت بأن نصف السكان من الذكور يعرفون القراءة والكتابة ."[2]

أمّا عن الطبيعة العمرانية للكتاب فقد كان في الغالب عبارة عن (حجرة أو دكّان في الأصل أو جناح في المسجد ....)بل إن بعض الواقفين كان يكتفي بفتح غرفة في منزله على الشارع ويجعلها كتّابا للأطفال.

---

[1] حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني س60-61

[2] المصدر نفسه ص 60

أما **الزوايا** :فقد شهدت انتشارا واسعا في هذا العهد خاصة في الريف ويعود ذلك لافتقار الأرياف للمراكز التعليمية الأخرى ،إضافة إلى انتشار الطرق الصّوفية والتي عادة ما نتخذ من الزوايا مركزا .ومع الزمن احتلت الصدارة بين المؤسسات الثقافية ،الأمر الذي سمح لها بالجمع بين الوظيفتين الدينية والتعليمية فعادة كانت تمثل المسجد والدراسة في آن واحد ،حيث تكون مركزا للعبادة وكذا تدريس علوم الدين والفقه وتعليم مبادئ القراءة والكتابة إضافة إلى كونها ملجأ لعابري السبيل.

لقد قدمت هذه المؤسسة الدينية إسهاما حقيقيا في نشر مختلف العلوم والمعارف خاصة الدينية وهذا ما أكده أحمد توفيق المدني حيث قال: "بفضل الزوايا في ذلك العهد ،وبفضل الكتاتيب القرآنية التي انتشرت في المدن و القرى انتشارا لانظير له وبفضل الدروس التي يقوم بها العلماء في أغلب المساجد بكل المدن الجزائرية انتشر العلم بين الطبقات الراقية وقلت الأمية بين الطبقات الوسطى والعاملة."[1]

-**المساجد:** تعتبر من أهم المؤسسات الدينية ونواتها وترتكز وظيفتها الأساسية في أداء الصلوات وتحفيظ القرآن وتعليم القرآن وتعليم الفروض المختلفة ،وذكر محمد بن عبد الكريم في تقديم كتاب التحفة المرضية أن المساجد "قد كانت مرتعا لحلقات الدروس اليومية ومحطا لفنون العلم التي كانت تدرس لذلك العهد لا سيما في القرى والمدن."[2]

وتقسم المساجد من حيث تأسيسها وأدوارها إلى عدة أقسام منها ما أسسه الخلفاء والأمراء والولاة، وهو جزء من عملهم الوظيفي اتجاه المسلمين ،إما للشهرة أو لكسب عطف الرعية مثل :جامع ابن مروان وصالح باي (الجامع الجديد)"عنابة" ،جامع الباي (قسنطينة) ،الجامع الكبير (العاصمة) وقسم أخر أسسه الأثرياء لكسب الشهرة أو التقرب إلى الله مثل جامع سيدي الأخضر (قسنطينة) ،سيدي

[1] الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني،ص30-31

[2] التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية،ص59

عبد الرحمان الثعالبي (الجزائر)،سيدي الهواري (وهران)... قسم ثالث أسسه فئات اجتماعية دينية أو مؤسسات خيرية وهي معظم مساجد الجزائر.[1]

وما يميز هذا العهد هو أن بعض الحكام العثمانيين كانت لهم إسهامات في تشجيع بناء المساجد والمدارس وتكريم العلماء وتقريبهم بسبب مساهماتهم المختلفة ،ومن بين الذين شجعوا ازدهار التعليم: الداي محمد بن عثمان باشا ،وصالح باي قسنطينة ،ومحمد الكبير باي إقليم الغرب ....،وأمر محمد الكبير بتوسيع رقعة التعليم ومنح جوائز للبعض من أهل الفكر .[2]

-المدارس: تأثرت المدرسة بالواقع الثقافي الذي عاشته البلاد آنذاك فكان تأسيسها يتم بمجهود شخصي وبمبادرة من الأفراد وهذا دلالة على وعي الجزائريين بالقيم الحضارية للممارسة التعليمية في تلك العهود ،ولعلنا نربط هذا المعطى بمسألة الحضور الأجنبي في البلاد ،فكلما كان هناك انتداب أو استعمار كلما احتمى الشعب بالتعليم .

وقد أطلق توصيف المدرسة على المؤسسات الدينية من كتاب وزوايا ومساجد بحكم اختلاط وظيفة المدرسة والزاوية والجامع في ميدان التعليم فقد كانت بعض المساجد والزوايا تؤدي وظيفة المدرسة في نشر التعليم بجميع أنواعه وخاصة الثانوي وكانت بعض الزوايا عبارة عن مدارس كما كانت مساكن للطلبة الذين يدرسون وكانت بعض المدارس ملحقة بالزوايا وأخرى ملحقة بالمساجد ،لذلك فإنه من الصعب تمييز الوظائف التي تؤديها هذه المؤسسات مجتمعة في مجتمع يقوم فيه التعليم قبل كل شيء.

فلم تكن هناك دلالة نظامية محددة تختص بها المدرسة إطارا ومهاما ولهذا كثيرا ما يأتي الباحثون للحديث عنها قصد المؤسسات الدينية لذا هناك اختلاف بين المؤرخين الذين تحدثوا عن الحياة الثقافية في العهد العثماني في تحديد عدد المدارس الموجودة آنذاك وخاصة الابتدائية ،إذ لا يوجد خط

[1] يحي بوعزيز ،أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ،مجلة الثقافة ،العدد 63 ماي 1981،ص12

[2] حميدة عميراوي ،دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (1827-1840)،ط1،دار البعث ،الجزائر،1987،ص63

فاصل يميز المدرسة عن الكتّاب وعن الزوايا التي يتعلم فيها الأطفال والمسجد الذي تقدم فيه دروس الأطفال في أحد حجراته .

وبهذا قيست كثرة المدارس في ذلك الوقت ،فقد كثرت المدارس التعليمية المتمثلة في الكتّاب والزوايا والمساجد والتي لعبت دورا كبيرا في المحافظة على الشخصية الجزائرية ومحاربة الأمية وكانت منتشرة في كل المناطق الجزائرية الحضرية والريفية ،ولقد كانت الجزائر العاصمة وقسنطينة ووهران وبجاية وتلمسان ومازونة مراكز إشعاع علمي ،بها أكبر المراكز التعليمية والتربوية قبل الاحتلال الفرنسي .

وإذا أردنا رصد الموقف التعليمي في الواقع الجزائري أيام الأتراك بالمعطيات فإن عدد أماكن العبادة والتعليم قد بلغ في مدينة قسنطينة وحدها ما يزيد عن المئة منها 35 مسجدا و169 زاوية و7مدارس رئيسية ،و600تلميذ منهم 150تلميذا من الأرياف ،كلهم يتقاضون منحة سنوية من وكيل الأوقاف تقدر ب36 فرنك للطالب[1] وبذلك تكون مدينة قسنطينة باعتبارها حاضرة من كبريات الحواضر الجزائرية قد تبوأت مكانة متقدمة.

أمّا عن مدينة تلمسان فكان لها نصيبها من المعطيات، إذ اشتهرت بوفرة المدارس والعلماء رغم تدهورها السياسي فبالإضافة إلى المدارس الابتدائية كان بها على الأقل خمس مدارس ثانوية وعالية.

بينما في لجزائر كان يوجد عند نهاية العهد التركي حوالي مائة مدرسة ،وهذه المعطيات لم تكن حكرا على الحواضر الكبرى فحسب ،بل سجلت بعض المدن الجزائرية الأخرى أرقاما مشرفة في هذا المجال شهدت بها حركة تعليمية وثقافية ساهمت في تنمية الحركة الثقافية خلال الفترة العثمانية .[2]

وبالنسبة للإعانات التي كانت تقدم لهذه المؤسسات فقد كان الأثرياء أو المحسنون يتنافسون على تقديمها وذلك في شكل نقود أو حبوب أو زيوت أو أدوات أو ألبسة ومفروشات وغيرها ...،أما

[1] الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني ص131- 132

[2] المصدر نفسه ص132

بعض المؤسسات فكانت تكون وفودا من طلبتها والمشرفين عليها ليخرجوا إلى الأقاليم المختلفة ويجمعوا الصدقات في مواسم معينة مثل موسم الزيتون و الزيت وموسم الحبوب وموسم الزكاة في عاشوراء إصافة إلى أموال الحبوس والأوقاف الإسلامية التي يوقفها الأشخاص والهيآت الخيرية وبعض الولاة.[1]

ومن خلال هذا فإن الممارسة التعليمية في الجزائر قد شهدت انتشارا واسعا خاصة في أواخر العهد العثماني بما لازمها من بعد ديني وإذا كانت قد تعثرت مرارا وتكرار وتسجيل إسهامات حقيقية في دفع عجلة المجتمع في اتجاه التغيير والتطوير ،فكفى بها أن تسجل بجهد فردي دون دعم السلطة العثمانية حضورها بوصفها حلقة لا غنى عنها في التاريخ الثقافي لبلادنا.[2]

[1] أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)المجلد الأول ط2،دار الغرب الإسلامي بيروت ،2005، 24/1

[2] الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني ص134

الفصل الأول

نبذة عن جامعة الجزائر

المبحث الأول:

السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر:

بعد الاحتلال مباشرة حاولت السّلطات العسكرية الفرنسية تنظيم تعليم خاص بالجزائريين لتكوين أفراد موالين لها ،فكانت مراسيم تأسيس المدارس والمعاهد العربية الفرنسية والإشراف على التعليم العربي الإسلامي ووضعه تحت الإدارة الاستعمارية وكان هذا التعليم مخصصا لأقلية معينة من المجتمع ،بينما كانت الأغلبية منه تعيش في الجهل والحرمان الثقافي ،فحتى سنة 1882م كانت نسبة تعليم الجزائريين بمعدل واحد لكل ألف تلميذ جزائري[1]

فيمكننا القول أن التّعليم كان مقتصرا على أبناء الشخصيات الأرستقراطية من أجل الاعتماد عليها كإطارات متوسطة لمساعدتهم في تسيير شؤون الجزائريين ،وكان التخوف من تعليم الجزائريين جليا وظاهرا عند كافة الفرنسيين ،وفي هذا الصّدد يقول أحد المسؤولين الفرنسيين :"إن فتح مدرسة في منطقة أهلة بالسكان الجزائريين لا يقل شأنا عن قيمة فرقة من الجيش لتهدئة البلد"، وكما نجد بعض الفرنسيين يدعون إلى ضرورة تعليم الفرد الجزائري، أي العمل على استثمار عقل الفرد الجزائري لصالحه بهدف السيطرة عليه معنويا عن طريق نشر الحضارة الفرنسية ومبادئها بدل من السيطرة عليه جسديا عن طريق القوة والسلاح.[2]

فخلال الخمسين سنة الأولى التي أعقبت الاحتلال لم تعط السلطات الفرنسية أهمية كبيرة لمسألة تعليم الجزائريين ،ولم تبلور سياسة تعليمية واضحة المعالم، إذ أن الأنظمة الثلاث (أي النظام الملكي والجمهورية الثانية ثم النظام الإمبراطوري) التي تداولت على حكم فرنسا، بعد احتلال الجزائر عالجت قضية التعليم والتمدرس دون برنامج أو مخطط، حيث أنه ما بين 1830م-1880م لم يكن لفرنسا سياسة تعليمية أو

[1] عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، 2010 ، ص47

[2] أكرم بوجمعة ،أوضاع الجزائر مع مطلع القرن العشرين ،مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، الجزائر، العدد 28، 2016 ،ص171

نموذج أو تجربة هادفة بل اعتمدت على مجموعة من التجارب التعليمية المتتالية كالتعليم المشترك، المدارس الفرنسية ،ومدارس البلديات المختلطة ....[1]

والتي أعطت نتائج هزيلة، وذلك بسبب انشغال سلطات الاحتلال بعملية إخضاع مختلف نواحي البلاد لسيطرتها والقضاء على الثورات الشعبية التي كانت تعرفها [2] واختلاف وتناقض مواقف الفرنسيين إزاء مسألة تعليم الجزائريين.

وابتداءً من 1883م نضجت هذه التجارب العلمية وتبلورت في سياسة واضحة المعالم والأهداف وذلك بإصدار قانون 13فيفري 1883م في عهد وزير التربية والتعليم جول فيري"Jules Ferry "والذي نصّ على مجانية التّعليم وتعميمه بين الجزائريين[3]، لكن تطبيق سياسة فرنسا الاستعمارية في ميدان التعليم بالجزائر لم يكن ممكنا دون تحطيم التعليم التقليدي الذي كان مصدر قلق الفرنسيين باعتباره كان حقلا للمقاومة ومناهضة الاستعمار، لهذا ستعمل الإدارة الفرنسية على تحطيمه بمختلف الوسائل.

فقد اعتبر منظرو الاستعمار بالجزائر بأن قيام مدرسة فرنسية في الجزائر ونجاحها لا يمكن أن يتم إلاّ على أنقاض المدرسة العربية التقليدية التي كانت تشكل في نظرهم –حاجزا يحول دون قيام هذه المدرسة لهذا قامت الإدارة الاستعمارية بتدمير منظم وممنهج للإرث الثّقافي للمجتمع الجزائري بما في ذلك التّعليم التّقليدي وذلك من خلال التّدابير الآتية :

-مصادرة الأوقاف المحبسة على المؤسسات الخيرية وأماكن العبادة والتّعليم والتي كان ريعها يستعمل في الإنفاق على المساجد والكتاتيب القرآنية والمدارس، وهذا ما حرم المؤسسات الدّينية والتّعليمية من السند

[1] رابح تركي ، الشيخ عبد الحميد بن باديس ،رائد الإصلاح والتربية في الجزائر ،ط3 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر 1981 ،ص131

[2] الشيخ عبد الحميد بن باديس ص131

[3] جول فيري 1832-1893:محامي ورجل سياسة لعب دورا هاما في تنفيذ السياسة الاستعمارية الفرنسية حيث انتخب نائبا في البرلمان سنة 1869 وعمدة لباريس في1870 ثم وزيرا للتعليم في الفترة مابين (1879-1883)وخلالها أصدر قانون إصلاح التعليم . عليوان سعيد ،المشروع الثقافي الاستعماري الفرنسي في الجزائر خلال الثورة التحريرية المباركة ،العدد10 سبتمبر 2005، ص246

المالي الذي كان يتكفل بالنفقات والمصاريف الضرورية للمشتغلين بالتعليم والقائمين عليه من أئمة ومدرسين وطلبة ونظار .

-غلق أو هدم العديد من المدارس والمعاهد الدينية والزوايا أو تحويلها عن مهمتها الأصلية، ففي الجزائر العاصمة تمّ هدم مدرسة القشاش ومدرسة الأندلس.[1]

ومدرسة الجامع الكبير حولت إلى حمام يملكه أحد المعمرين الفرنسيين ،وتمّ تحويل مسجد كتشاوة إلى كاتدرائية سنة1832م

وفي وهران حُوّل مسجد سيدي محمد الهواري إلى مخزن عسكري ،وفي تلمسان حول مسجد أبي الحسن المشاذلي إلى متحف.

-مضايقة المدارس القرآنية والزوايا التي استمرت في ممارسة نشاطها التّعليمي، ووضع قيود وتشريعات قاسية تحدّ من فتح أي كُتّاب أو مدرسة لتعليم القرآن، وتمّ إخضاع هذه المؤسسات إلى رقابة وتفتيش السلطات الفرنسية .

-اضطهاد العلماء وتشريدهم ،فقد تعرضوا لضغوطات شديدة ومضايقات من قبل السلطة الاستعمارية وهذا ما جعلهم ينتقلون إلى المناطق التي لم تخضع بعد إلى الاحتلال أو الهجرة إلى الأقطار الإسلامية إمّا في المغرب أو تونس أو الشام أو تركيا وغيرها ممّا أدى إلى افتقار البلاد من العناصر المتنورة التي كان من الممكن أن تبعث النهضة التربوية والعلمية بالبلاد ،

نذكر من بينهم "صالح بن أحمد السمعوني الجزائري (1824-1868م)الذي هاجر إلى دمشق في 1847م ،وعلي بن الحفاف الذي هاجر إلى الحجاز ،وغيرهم.

[1] أحمد بن داود المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي في كل من الجزائر والمغرب من خلال التعليم (1920 1954)رسالة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر ،2016-2017،وهران ،ص35 -37

-نهب التراث العربي الإسلامي الذي عثر عليه جنود الاحتلال في المكتبات مثل المخطوطات والوثائق والكتب، وإرسالها لفرنسا وبيعها لتجار الكتب الأوروبيين، إضافة إلى قيامهم بإتلاف البعض منها أو بعثرته أو حرقه كما فعلوا مع مكتبة الأمير عبد القادر.[1]

أ)أنواع التعليم الفرنسي:

1-التعليم الابتدائي: إنّ النّشاط التّعليمي في الجزائر قد اعتمد على عدّة مؤسّسات وأنواع ومراحل أهمها: التّعليم الابتدائي وهو التّعليم الذي يعتمد على الطّريقة الإنجليزية حيث يتكفّل التّلاميذ بإعادة أو إعداد الدّروس ومساعدة معلّمهم الوحيد. وهذا النوع من التّعليم ينقسم إلى ثمان مراحل هي :المرحلة الأولى يتدرّب فيها التّلاميذ على كتابة الحروف على طبقة رقيقة من الرمل فوق الطّاولة، وفي المرحلة الثّانية يبدأ التّمرن على الكتابة في الألواح، وعموما لن يكون باستعمال الحبر والورق إلاّ في المرحلة السّابعة والثّامنة[2]

وتميّزت هذه الطّريقة بأسلوبها السّهل الهادف إلى تعليم مبادئ أولية في الكتابة والقراءة والحساب والتّكلم بالفرنسية لأكبر عدد ممكن من الجزائريين وإدماجهم في المجتمع الفرنسي.

تمّ فتح أول مدرسة خاصة بالجزائريين بالعاصمة (الباب الجديد)في 1836م واستقبلت 60 تلميذا يشرف عليهم معلّمان ،معلم فرنسي والأخر جزائري مسلم، الفرنسي يعلّم القراءة والكتابة والقواعد والنّحو والحساب بالفرنسية، أمّا الجزائري فيعلم اللّغة العربية الفقه والعبادة في الإسلام ثم ظهرت مدارس أخرى خاصة بالجزائريين في كل من عنابة ووهران سنة 1837م، وتمّ فتح أول مدرسة ابتدائية للبنات الجزائريين بالعاصمة سنة1845م بها حوالي 150 تلميذة و20 منهن تجاوزن سن الدّراسة الابتدائية بكثير فخصّصت لهن حصص في الخياطة والطّرز ،والباقي يتعلّمن الكتابة والنّطق بالفرنسية.[3]

[1] المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي في كل من الجزائر والمغرب من خلال التعليم (1920-1954)ص38-39

[2] محمد بن شوش ،التعليم في الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي (1830-1870)،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ،2007-2008،الجزائر ص60

[3] المرجع نفسه 60-61

الجدول 1:تطور عدد المدارس وعدد التلاميذ الجزائريين من سنة 1852م إلى 1857م.[1]

السنة	عدد المدارس	عدد التلاميذ
1852	223	12766
1854	348	19271
1855	408	21964
1856	407	24641
1857	393	24651

وعند ملاحظتنا للجدول نرى أن خلال السنوات الستة كان تطور التلاميذ بطيء جدا وعدد المدارس لم يزد عن 170 مدرسة.

الجدول 2 : التلاميذ الجزائريين المسجلين في التعليم الابتدائي من 1882م الى1893م

السنة	عدد التلاميذ الجزائريون

[1] رابح دبي السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر ودور جمعية العلماء في الرد عليها 1830-1962أطروحة دكتوراه في علوم التربية ،2010-2011،ص48

1882	3.172
1883	4.095
1887	9.064
1891	11.347
1892	12.263
1893	19.885

وفي 14ماي 1882م أرسل الى الجزائر لجنة مكونة من خبراء و مفتشين عامين و قد أثمرت زيارتها بإصدار مرسوم 13فيفري 1883 الذي نص على إلزامية التعليم و مجانيته للأهالي و الأوروبيين ،و قد أيده الجمهوريون باعتباره أحسن وسيلة الى الإدماج السياسي والاجتماعي وهو توحيد البرامج المدرسية لتتناسب مع الأهداف السياسية المسطرة ،وهذه الإلزامية لم ترضي المعمرين ،ولم تفرض على المجالس البلدية أو العامة، وبقي التعليم محتكرا في يد الحاكم العام.[1]

و في عام 1908م وصل عدد التلاميذ المتمدرسين إلى 33400 تلميذ جزائري، وهي نسبة لا تتجاوز4,3% من مجموع التلاميذ المتمدرسين آنذاك ،و راح العدد يتزايد ،ففي حدود 1914م أصبح عدد التلاميذ 47200 تلميذ أي بمعدل 5% ،وفي حدود 1930 وصل الى 68000 أي بمعدل 8.8% ،أما في 1944م فقد وصل الى 110000 أي بنسبة 14.60 % ،أما ما بين 1953م-

[1] _الطاهر زيتوني ،التعليم في الجزائر قبل و بعد الاستقلال ،موفم للنشر ،الجزائر ،1993،ص17.

1954 بلغ عددهم 302000 و307000 في العام الموالي أي بنسبة 15.4% ،وفي حدود1954 في نسبة ل تتجاوز 13.7% أي أن نسبة التلاميذ تراجعت مقارنة بالسنوات التي سبقتها .[1]

2_التعليم الثانوي:

بدأ اهتمام الفرنسيين بالتعليم الثانوي منذ بداية المحاولات الأولى للاستعمار الشامل حيث لم يتحمل بعض العسكريين و المعمرين إرسال أبنائهم الى فرنسا للتعليم ،و تركهم مدة طويلة بعيدين عنهم ،إذ تقرر في 22أفريل 1835 فتح معهد (كوليج) في العاصمة ،و استقبل 37 تلميذا و أصبح بعد 06أكتوبر 1848 م يسمى بالثانوية الوطنية .

اهتمت فرنسا كثيرا بهذه الثانوية ،فمنحتها وسام الاستحقاق سنة بعد ظهورها ،وارتفع مستوى التعليم

و عدد الطلبة و عدد الناجحين في امتحانات البكالوريا، فنجد مثلا عدد الشهادات الممنوحة في سنة 1852 م هو إحدى عشر (11) شهادة ثم بلغ عددها (43) شهادة ،أما عدد الطلبة أصبح 230 طالبا في سنة 1852 .[2]

_الجدول3: يوضح تطور عدد التلاميذ الجزائريين بالطور الثانوي من سنة 1854 الى سنة 1857م.[3]

السنة	عدد التلاميذ

[1] _عبد الله حمادي ،الحركة الطلابية الجزائرية 1871_1962م (مشارب ثقافية و ايديولوجية).ط2،المؤسسة الوطنية للنشر و الاشهار _رويبة ،1995 ص 15 ص 16 .

[2] _محمد بشوش ،التعليم في الجزائر ابان الاحتلال الفرنسي (1830_1870) مرجع سابق.ص63 ص64 .

[3] _عبد الحميد زوزو ،نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830_1900 ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1894 ،ص216.

1854	286
1855	333
1856	349
1857	419

أمام هذا التزايد و التطور ،أصبحت الثانوية عاجزة عن أداء مهمتها رغم إلحاق بنايات قديمة مجاورة لها (ثكنة ماسينيسية) ،لذلك ظهر مشروع بناء مؤسسة جديدة تتجاوب مع أهمية هذه الثانوية ،و التي تم بناؤها في غرب المدينة.

ظهرت بعد ذلك معاهدة تشبه ثانوية العاصمة خاصة في عام 1859م ،بعنابة، قسنطينة ،وهران، مليانة ،وفي عام 1870م ،و بعد ذلك معاهد أخرى في مناطق متفرقة من الوطن.[1]

لقد كانت هناك مؤسسات شبيهة بالثانويات ،و هي المعاهد العربية الفرنسية الخاصة بالجزائريين ،أنشأت واحدة بالجزائر العاصمة في سنة 1857م ،و أخرى بقسنطينة سنة 1865م ،و أخرى في وهران من نفس السنة ،وقد وضعت تحت الرقابة المستمرة للاستعمار ،ووجدت الدعم الكامل من البلديات ،وحتى من حكومة باريس و لم تكن مخصصة لسن معين و كانت مفتوحة لكل من يحمل الجنسية الفرنسية ،وقد توفرت فيه شروط الولاء للاستعمار الفرنسي . وإن بعض الجزائريين كانوا يعتبرون بأن إرسال أبنائهم إلى

[1] محمد بشوش ، مرجع سابق ،ص 64 .

هذه المعاهد هو نوع من البرهان على موافقتهم المؤيدة للوجود الاستعماري، لذا يعملون على مغادرة أبنائهم للمعاهد مباشرة بعد شهادة التخرج.[1]

ب_ أهداف السياسة التعليمية الفرنسية

ترتكز السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر على ثلاث محاور و أهداف أساسية و هي الفرنسة و التنصير و الادماج.

1_ الفرنسة :إن الأهداف التي كانت ترمي إليها الحكومة الفرنسية من وراء سياستها التعليمية هي بصورة رئيسية القضاء على الشخصية الجزائرية عن طريق محو مقوماتها الأساسية لإذابتها في المجتمع الأوروبي و سلخها من انتمائها العربي الإسلامي .[2]

و نعني بالفرنسة إحلال الثقافة الفرنسية محل الثقافة العربية بالجزائر ،و أن ينسى الجزائريون لغتهم العربية و ثقافتهم القومية مقابل لغة المستعمر و ثقافته ،وبهذه الطريقة تصبح الجزائر أسهل انقيادا و أكثر قابلية للسياسة الفرنسية ،وكانت فرنسا ترى أن الفرنسة تعد من الأمور الحتمية و التي لا مناص منها ،و يجب السعي وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي بالتدريج إلى أن يقوم مقام اللغة العربية.[3]

---

[1] _محمد بشوش ،مرجع سابق ص64 ص65 .

[2] _سعد الدين ابن شنب ،النهضة العربية في الجزائر في النصف الأول من القرن 14هـ ،مجلة كلية الآداب ،العدد الأول ،1964 ، الجزائر ،ص12 .

[3] _بو عمران الشيخ ،المجابهات الثقافية في الجزائر المستعمرة من (1880 -1940) ، مجلة الأصالة ،العدد6 ،1972 ،الجزائر ،ص 113

2_التنصير: أسند هذا العامل الى رجال الدين ،و ليس هذا فقط بل أسند كذلك لعدد من السياسيين و العسكريين ، ونجد أن عند الحملة سنة 1830م على الجزائر اصطحب الغزاة معهم رجال الدين حتى تنتشر المسيحية ،وفور سقوط مدينة الجزائر أمر المسؤولين بنهب و تدمير و تحويل المساجد الى كنائس و إلغاء الشريعة و الأعياد الدينية الإسلامية و الاستيلاء على الأوقاف ،و كانت الأعمال الفرنسية إزاء الدين الإسلامي و العقيدة عملية استفزازية فأهانوا المساجد و بيوت الله و حولوها إلى كنائس و مستشفيات وملاجئ .....وبعد انتصار الفرنسيين على المقاومة الوطنية اشتدت حركة الإرساليات التبشيرية فكانت منهم إرساليات منظمة كالإخوان والأخوات للقيام بنشر الدعوة المسيحية في الجزائر .[1]

ونعني بالتنصير محاولة إخراج الجزائريين عن دينهم الإسلامي وإحلال المسيحية محل الديانة الإسلامية ،وانتشر التبشير انتشارا واسعا من خلال تأسيس المدارس الدينية وخاصة في عهد الحاكم الرابع "دوقيدون"الذي حقد على الإسلام ،وقد منع من إعطاء رخص السفر إلى البقاع المقدسة هذا في سنة 1873م ونلاحظ أن كل حاكم عام له فنونه في نشر المسيحية. وقد كان الحاكمان "دو قيدون" وشانري ولافيجري نماذج لسياسة التنصير في الجزائر ،وقد صرح أحد رجال الكاثوليك الفرنسيين سنة 1877م أن السياسة التنصيرية هي وحدها الكافية لإدماج الجزائريين.[2]

[1] _محمد الميلي، مواقف جزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 ،ص 148 .

[2] نصر الدين سعيدوني، مواقف جزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986م ،ص148.

وإذا كان الدين الإسلامي هو الحائل دون نجاح سياسة التفرقة و الإدماج و الفرنسة فإن الاستعمار لم يفتأ منذ الوهلة الأولى للاحتلال ،يخطط للقضاء على هذا الدين فانتهج سياسة التنصير بشتى الطرق، بإغرائه أو إرغامه على اعتناق الديانة المسيحية التي تخول للحصول على الحقوق مثل أفراد المجتمع الفرنسي.[1]

3_الإدماج: كانت سياسة الاحتلال منذ البداية تخطط لدمج الجزائر في فرنسا بعد فرنستها و تنصيرها عن طريق ربطها سياسيا و إداريا بفرنسا و إذابة كيانها الثقافي و الحصاري في الشخصية الفرنسية ،و من هنا طبقت الإدماج في الجزائر و لكنها لم تطبق الإدماج بمعنى المساواة بين الجزائريين و الأوروبيين في الحقوق و الواجبات ،أما الجزائريين فقد طبقت عليهم القوانين الاستثنائية (الأندجينا) أو قانون الأهالي .[2]

أما مفهوم الادماج من الناحية السياسية فيعني جعل الجزائريين سياسيا و اقتصاديا و اجتماعيا فرنسيين يتمتعون بالحقوق السياسية الفرنسية و يتعلمون و يترقون إلى وظائف أي بطرق التي تخولها القوانين الفرنسية للفرنسيين أما من الناحية الإدارية فتكون الجزائر إقليما فرنسيا ، غير أن هذا الإدماج لم يطبق في الجزائر فقد كانت تريد دمج الأرض الجزائرية لا تسوية بين الجزائريين و الأوروبيين .[3]

و الحقيقة أن هذه السياسة قد فشلت في الجزائر، وظل الحائل الأكبر دون نجاحها، هو تمسك أفراد المجتمع الجزائري في غالبيتهم الساحقة بقانون الأحوال الشخصية الإسلامي الذي اشترطت الإدارة الفرنسية التخلي

[1] _أحمد توفيق المدني، كتاب لجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1984م ن ص 86 .

[2] _محمد بن عثمان خوجة ،المرآة، تعريب و تقديم العربي الزبيري ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ،1975م، ص 265 .

[3] أحمد بن نعمان ،اشهدي يا جزائر ، دار الأمة ، الجزائر ،2002، ص 106.

عنه مع منح الجزائريين جميع الحقوق الاجتماعية مثل باقي الفرنسيين ففضل الشعب الجزائري الأبي التمسك بالشرف الرباني على العلف العلماني.[1]

[1] _أحمد توفيق المدني ، حياة كفاح ،ج1 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ،1984م ، ص 105.

جدول مقارنة ثلاث سنوات الأولى مع ثلاث سنوات الأخيرة			
التلاميذ المتبقين	التلاميذ المغادرين	التلاميذ الداخلين	السنوات
73	180	253	1853_1852_1851
160	117	204	1856_1855_1854

جدول يظهر سنة بعد سنة عدد الطلاب الداخلين و المغادرين منذ افتتاح المدرسة 6 أفريل 1851 إلى 31 ديسمبر 1856.

الوقت الذي يقضيه كل تلميذ في المدرسة		
متوسط	المدّة الزمنية	عدد التلاميذ
1 سنة و 8 أشهر	6 سنوات	10
	5 سنوات	6
	4 سنوات	36
	3 سنوات	46
	2 سنوات	96
	1 سنوات	166

	عدد التلاميذ نهاية السنوات										
	1852		1853		1854		1855		1856		
من بداية 6 أفريل 1851	عدد التلاميذ الداخلين	مغادر	متبقي	مغادر	متبقي	مغادر	متبقي	مغادر	متبقي	مغادر	متبقي
1851	142	72	70	45	25	6	19	6	13	3	10
1852	56	26	30	10	20	3	17	5	12	9	3
1853	55			27	28	4	24	5	19	3	16
1854	47					6	41	6	35	1	34
1855	83							15	68	33	35
1856										12	62
المجموع	457	98	100	82	73	19	101	37	147	61	160

_F80.509 Riapport del'admintration civile 4eme trimestre.

التعريف بجامعة الجزائر:

أ_ تعريف الجامعة: الجامعة مصطلح مأخوذ من الكلمة الانجليزي universités و الذي يعني التجمع الذي يضم أقوى الأسر نفوذا في المجال السياسي من أجل ممارسة السلطة ،و هكذا استخدمت كلمة الجامعة لتدل على تجمع الأساتذة و الطلاب من مختلف البلدان و الشعوب .و الجامعة بمفهومها ووظائفها لم تكن وليدة اليوم ولا الأمس القريب ،و إنما جاءت نتيجة لتاريخ طويل ترك من خلفه جذورا ،و فكرا وعملا و ممارسات ،ولذلك فإن كلمة جامعة في اللغة العربية اسم فاعل من "جمع" و هو المكان الذي يجمع الأشخاص لإنجاز أعمال ، ووظائف شتى ، وأداء الشيء جماعيا.

و بدأت فكرة التعليم الجماعي في الحضارة الغربية على شكل تنظيم جماعي أقرب إلى ما يعرف بالنقابات في الدول الغربية ،حيث كان الطلاب الراغبون في العلم و المعرفة يأتون بأعداد كثيرة طلبا للعلم على يد رجال مشهود لهم بالمعرفة يدفعون لهم الأجر ،و كانت العلوم و المعارف تقدم بطريقة التلقين و الاعتماد على المحاضرة ، وعلى هذا الأساس تأسست الجامعات الغربية الأولى في سالرنو (Salerno)،و بولونيا (bologna) ،و باريس (paris) ،و اكسفورد(oxford) ،و كامبردج (Cambridge) على أنها اتحاد الطلاب الأساتذة.[1]

و يعد التعليم الجامعي بمثابة المرحلة التعليمية التي تلي المرحلة الثانوية، أو ما يعادلها، عموميا أم خاصا،

[1] _غراف نصر الدين ، التعليم الالكتروني مستقبل الجامعة الجزائرية دراسة في المفاهيم و النماذج ،أطروحة دكتوراه علوم في علم المكتبات،2010 _2011 ،ص53 .

و تتمثل في مؤسسات علمية مستقلة ذات هيكل تنظيمي معين، وتتألف الجامعة من مجموعة من الكليات و الأقسام ذات الطبيعة العلمية و التخصصية.[1]

ب_ جامعة الجزائر: نشأتها و تطورها:

اهتم الاستعمار بالتعليم العالي منذ سنة 1832، حيث نظّم دروس في الجراحة و الصيدلة و سرعان ما توقفت سنة 1836 م. ومع استمرار و اشتداد المقاومة الجزائرية ضد سياسة فرنسا ،أدى ذلك الى انتشار الأوبئة و استفحال خطر انتقالها ،فتخوف الاستعمار من هذا العدو الجديد ،و أصبحت الحاجة ماسة الى جامعة طبية ، و خاصة بعد تأكيد العسكريين على ذلك كالجنرال "دوفيفي".لهذا جاء مرسوم 04 أوت 1857 م يدعو الى إنشاء كلية الطب و الصيدلة في مدينة الجزائر.

وفي هذا المجال قدمت فرنسا تسهيلات و امتيازات كثيرة لتشجيع الطلبة في الالتحاق بهذه الكلية ، واستمرت الى سنة 1870م مخصصة للفرنسيين و الأوروبيين و اليهود. [2]و يظهر ذلك من عدد المسجلين في نهاية هذه السنة و هو 331 طالبا منهم 314 طاب فرنسي ،10أجانب ،07 طلاب جزائريين ،

و هذا العدد القليل من الجزائريين المسجلين بكلية الطب يرجع الى عدة أسباب أهمها التأخر و التدهور العلمي للطلبة .

و بعد كلية الطب ، ظهرت ضرورة إحداث كلية الحقوق و الآداب لتغطية الحاجيات القانونية ،و الإدارية

[1] _عبد الرحمان بن سعد الحميدي ، أنماط التعليم العالي في دول مجلس التعاون الخليج العربية ، الرياض ، وزارة التعليم العالي،1999 ،ص09 .

[2] J.mèia ,histoire de luniversite d Alger , Alger, 1950 , p 127,169.

و الاقتصادية ،و بدأت المطالبة بها منذ ظهور كلية الطب ميدانيا .و طال الانتظار و لم تر الكلية النور إلاّ في 23ديسمبر 1880 م .و ينطبق هذا الأمر أيضا على كلية العلوم الطبيعية و التي بدأت المطالبة بها منذ سنة 1868م، و لم تظهر إلاّ بعد نهاية السبعينات، و كان هذا التأخر و التردد يرجع أساسا إلى سبب اشتداد المقاومة الجزائرية .و عموما لم يكن هناك تعليم عالي بالمفهوم الحالي إلاّ مع سنة 1909م بظهور جامعة الجزائر .[1]فقد صدر قانون 30ديسمبر 1909م لتأسيس جامعة الجزائر ، و قد تطورت بسرعة حتّى أصبح يسمونها (السربون الإفريقية) و كانوا يعتبرونها [2]الجامعة الفرنسية الثالثة لارتفاع مستواها التعليمي .....ومن بين أساتذتها في العلوم الاجتماعية "ماسكري" ،و"باصيه" و مروان و"فانيان"[3]

و قبل إنشاء جامعة الجزائر قد تعرضت المدارس العليا في الجزائر إلى انتقادات كبيرة قبل استكمال شكلها التنظيمي لتتحول إلى جامعة ،ففي إطار الاستقلال المالي في الجزائر ،تعالت أصوات بعدم جدواها،أو غلقها أو تحويل مسارها إلى التعليم المهني ،و تم اختلاق حجج كثيرة ،و تمثلت أساسا في طرق التمويل و الإطار القانوني للنشاط و نوعية التعليم و كذا الشهادات المقدمة .

هذا الجدل الدائر حول مصير المدارس التحضيرية ، و الذي بدأ أول الأمر مهددا لمستقبلها كان له أثرا حسنا، فتحولت المدارس بفضله إلى جامعة .و يعود الفضل في هذا إلى مجهودات شخصيات علمية

[1] _محمد بن شوش ، مرجع سابق ،ص66،67 .

[2] _أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج6 ،ط 1 ، دار الغرب الاسلامي، بيروت _ لبنان ،1998 ، ص100.

[3] المرجع نفسه ص100.

وأكاديمية و حتّى سياسية كانت تدافع عن المدارس، و الحقيقة الظاهرة أن هذه المدارس في ذاتها كانت تعتبر جنين جامعة قيد النشأة و هذا ما أشار إليه السيد louis paoli "لويس باولي" في تقريره حول التعليم العالي 1906م فقال: "حلمت الإدارة الجامعية العليا في فرنسا دائما بشيء كبير و عملي للمستعمرة و العلم ،لقد خلقت في الجزائر سنة 1879م جنين جامعة ".[1]

فمن الشخصيات العلمية المدافعة على مستقبل المدارس نجد السيد Albert Deumoix "ألبرت ديمو" [2]*الذي أشاد بعمل المدارس أثناء زيارته لها سنة 1883م ، وخاصة مدرسة الآداب المنتقدة بشدة آنذاك .فقد أشاد بأعمال النشرة الإفريقية (Bulletin l'Afrique) التابعة لقسم الآداب ، كما نجد أيضا تشجيع السيد Louis liard "لويس ليارد*[3]" و كذا السيد Beyet "باية"[4]* .فكل هؤلاء أكّدوا أن هذه المدارس تسير في اتجاه إنشاء جامعة .

ومن جانب آخر عرفت هاته المدارس انتقادات لاذعة من طرف شخصيات سياسية، فبعض منهم كان يريد لهذه المدارس أن تكون جزائرية محلية تقدم تعليما مهنيا و تطبيقيا حسب الحاجة فقط، و فريق آخر يريدون لها أن تأخذ الطابع الفرنسي العام ، و تخضع للقوانين التنظيمية التي تخضع لها نظيرتها الفرنسية ،

[1]_louis Paoli ,l'enseignement supérieur a Alger 1906 ,Alger 1959 ,P417.

[2] ألبرت ديمو: شغل مدير التعليم العالي في فرنسا في الفترة التي كانت المدارس العليا قد أنشأت في الجزائر .

[3] لويس ليارد : شغل نائب عميد أكاديمية باريس و زار الجزائر في 1897م.

[4] باية: مدير التعليم العالي 1905م.

فعليها أن تبقى مراكز لنشر الثقافة و تتلاءم مع طبيعة البلاد المنشأة فيها .بمعنى أن يأخذ التعليم العالي في الجزائر طابعه الفرنسي العام و شكله الجزائري .[1]

كما انّضم إلى قائمة المدافعين عن مشروع الجامعة و تحدّث عن هذا في جلسة أعمال المندوبيات المالية لشهر مارس 1907م فقال: "الشهادات الخاصة التي كانت تقدمها و يقصد هنا المدارس العليا التحضيرية تكون لصالح التعليم المهني و التطبيقي و الذي تقترح توزيعه على نطاق واسع في المدارس المهنية ، و الجامعة الجديدة يمكن لها أن تقدم العلوم البحتة و الأعمال الحرة و تضمن توظيف دقيق للزراعة و التجارة في الجزائر".[2]

وهكذا فقد لعبت الإدارة الفرنسية شارل جونار دورا في تأسيس جامعة الجزائر و الهدف من كل هذا التعرف على كنوز الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر و استغلال إدماج منظومتها .

ضمت الجامعة تخصصات كثيرة ، و افتتحت نشاطها ب 1605 طالب ، و لم تكن تختلف في مناهجها و لغتها عن الجامعات الفرنسية سوى باهتمامها ببعض الجوانب الثقافية و الاجتماعية لخدمة أغراض الإدارة الاستعمارية .[3]

و قد أشار جونار بقوله: "إن المدارس العليا للجزائر أكثر ملائمة لاحتياجات الاستعمار ،و تحولت إلى جامعة و مكان مشع للتقدم ، سوف تنشر في جميع أنحاء القارة الافريقية تأثير و هيبة عبقرية الوطن"[1]

---

[1] _Albelloh abdi , la reconstruction de b4,étude bibliographique, mo publier,p4.

[2] _العركوت خميلي ،جامعة الجزائر بين الأهداف الاستعمارية و تكوين الطلبة المسلمين الجزائريين (1909_1956) مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر ، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة ،2009 ،ص 53.

[3] _بشير بلاح ،تاريخ الجزائر المعاصر من (1830الى 1989م) ج1، دار المعرفة ، الجزائر ، ص 280.

لكن رغم هذا ظلت أعداد الطلبة المسجلين في المدارس العليا و الجامعة ضئيلة نظرا لتشدد الجامعة في قبول الطلبة الجزائريين ،لأنها ترى في تعليمهم وتعلمهم خطر كبير على مصالح الاستعمار .[2]

_ جدول الطلبة الجزائريين المسجلين في جامعة الجزائر:

السنة الجامعية	عدد الطلبة	ملاحظات
1954_1953	589	منهم 151 يتمتعون بمنحة
1960_1959	814	332 يتمتعون بمنحة

أما بالنسبة لعدد الطلبة الجزائريين حسب "الكتابة العامة للشؤون الجزائرية "للإدارة الفرنسية، تكون أعدادهم كالتالي:

_(513) بالنسبة للسنة الجامعية:1953_1959.

_(589)بالنسبة للسنة الجامعية:1954_1955.

_(684)بالنسبة للسنة الجامعية:1955_1956.[1]

[1]Charles Jonnar ,disours de M. Jonnart gouvermer générale de Lalgérie au banquet du conseil générale de constantie (6mars 1908) imprimerie administrative victor heintz,Alger,1908,P22.

[2] _بشير بلاح ،مرجع سابق ،ص280.

_نستنتج مما سبق أن التعليم العالي بالجزائر حظي باهتمام السلطات الفرنسية خاصة مع بداية القرن العشرين ،إلاّ إن هذا النوع من التعليم كان لصالح الفرنسيين يرسلون أبنائهم إلى فرنسا لمواصلة دراستهم الجامعية ،لأن الجزائر لم تشهد النواة الأولى للتعليم الجامعي إلاّ في سنة 1857 ،ثم تطور الاهتمام بها إلى أن تم إنشاء جامعة الجزائر سنة1909م.

[1] _عمار هلال ، نشاط الطلبة الجزائريين ابان ثورة نوفمبر 1954،ط5، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ،الجزائر ،2004، ص15،17.

المبحث الثالث: فروع جامعة الجزائر

قانون 30 ديسمبر 1909مكن من وضع مدارس تحضيرية عليا أو كليات (الحقوق ، الطب ، الصيدلة، العلوم، الآداب)وبذلك طرأت عليها الكثير من التعديلات خاصة المتعلقة بالشهادات التي تمنحها. فأصبحت تمنح الشهادات التي تمنحها نظيراتها من الكليات في الجامعات الفرنسية وبذلك أخذت شكلها المستقل وهذا تطبيقا للمادة الأولى من قانون 30 ديسمبر 1909م والتي حولت المدارس التحضيرية إلى كليات وحولت مجلس الكليات السابقة إلى مجلس للجامعة المنشأة حديثا وفق هذا القانون.

لكن هذا التعديل لم يكن هو الأخير فالكليات أخذت تتطور وتستحدث الفروع الجديدة وفق ما تقتضيه ضروريات التطور والحاجة في الجزائر، سواء بالنسبة لأعداد الطلبة المتزايد أو بالنسبة للتخصصات اللّازمة، أو القوانين التنظيمية والبرامج وغيرها. وعموما فإن هذا القانون 30 ديسمبر1909م قد أنشأ أربع كليات أساسية وهي (الكلية المختلطة للطب والصيدلة ،كلية العلوم ،كلية الآداب، وكلية الحقوق).[1]

1-الكلية المختلطة للطب والصيدلة:

انبثقت عن المدرسة التحضيرية المختلطة للطب والصيدلة، وقبل هذا سجلت هذه الكلية السبق بين مؤسسات التعليم العالي في الجزائر. فهي الأقدم من حيث النشأة وهي التي أوحت بفضل منجزاتها بإنشاء المدارس التحضيرية العليا (العلوم ،الآداب ،الحقوق)لما كانت مدرسة عليا تحضيرية .

مرت هذه المدرسة التحضيرية بعدة مراحل قبل أن تتحول إلى كلية، فقد أنشأت تطبيقا لقانون 03أوت 1857م بطلب من الجمعية الطبية للجزائر بقيادة الطبيب الكولونيل Bertherand،ثم بتطبيق قانون 20ديسمبر 1879م وأخذ تنظيم جديد (مدرسة عليا للطب والصيدلة)تحت وصاية كلية الطب التي تمنح الشهادات النهائية للطلبة .وقد كان

[1] L .abid,Lécole de medcine dàlger150ans d'histoire de 1857-2007 ,étude no publier,p03

الطاقم المدرس بالمدرسة يتكون من ثمانية أساتذة مرسمين وأربعة مستخلفين وكذلك رئيس أعمال علم التشريح، وقابلات للتوليد وصيادلة من الدرجة الثانية ،وتعاقب على إدارة المدرسة الكثير من الأساتذة اللامعين أشهرهم: Berlherard(1858-1862).[1] وPotin(1863-1868)ثم الطبيب Trollier (1868-1870)وToxierالذي قدم حصيلة عمل المدرسة سنة(1895)كما يلي :85طبيب منهم 22يعملون في الجزائر ،218مطبق من الدرجة الثانية منهم 95 صيدلي و71 قابلة توليد و46ضابط صحة.

صدر مرسوم 10 جانفي 1860م معدل بمرسوم 5 جوان 1880م الذي حدد عدد المقاعد الأساسية ب 12 مقعدا وستة مقاعد للمستخلفين .كما حدد قانون 03أوت 1880م الشروط الأساسية لمنح شهادة الكفاءة لممارسة الطب بين الأهالي الجزائريين .كان هذا في عهد البروفيسور Bruchجراح وطبيب عيون الذي ترأس المدرسة لثلاث عهدات متتالية (1895-1904).

وفي عهد Curtillet(1904-1909)عرفت المدرسة التحضيرية عهدا جديدا بأخذها لقب كلية وفق قانون 30 ديسمبر 1909م.

-الحصيلة والإنجازات:

ومن ألمع الأسماء التي مرت على الكلية نجد علماء وأطباء وجراحين وصيادلة لامعين عرفوا بأعمالهم العالمية وخدماتهم الجليلة للطب فنجد مثلا "السيد Seclilletالذي يعتبر أول من أطلق لقب microbeميكروب "وكذلك عالم التشريح ومسير مخبر التشريح Raulin Trollard،وأسماء لامعة في الصيدلة أمثال Riocherأول أستاذ للكيمياء في مدرسة الطب،و Jaillardطبيب وصيدلي وكيميائي لامع والصيدلي Battandier(1848-1922)الصيدلي الرئيسي لمستشفى مصطفى الذي أصدر كتابا قيما عن النباتات الجزائرية بين (1880-1911) صدر مرسوم 04جانفي 1911م ينظم

[1] L .abid' op cit p'3

التعليم في كلية الطب ،فقد أصبحت الكلية تحتوي على 16 مقعد تخصص أو الكثير من التعديلات والفروع الجديدة تم استخدامها لاحقا بقيادة العميد Curtilletالذي مكث على رأس الكلية حتى سنة 1922م.

عرفت الكلية تطورا سريعا وملحوظا ونوعيا أيضا ،وخاصة في الجراحة بفضل السيد Eugene Kincentالأب الحقيقي للجراحة الجزائرية.[1]

فقد عرفت الكلية 15طالبا أهليا في 1919م مسلما [2]من بين 1344 أوروبي و10 عام 1921م،ومنذ إنشاء المدارس لم تعرف هذا العدد .ولم يحصل قبل هذا التاريخ أي قبل نشأة المدرسة إلى غاية الحرب العالمية الأولى سوف 05من الأهالي على دبلومات في الصحة طبيبتبن وقابلتين من الدرجة الأولى وقابلة من الدرجة الثانية و12ضابط صحة .

ويرجع هذا الضعف إلى ضغوطات السلطات ،وإلغاء لقب ضابط في الصحة والمدة الطويلة للدراسات في الطب ،افتقاد الطلبة الأهالي للقاعدة العلمية المؤهلة لحراسة الطب قبل 1909م رغم أن القبول كان دون البكالوريا .لكن إجراءات القبول كانت معقدة ،وكان معظم الطلاب يتوجهون إلى مدرسة الآداب والحقوق وتعتبر الدكتورة "علجية نور الدين "Aljia Nourddinأول طالبة طب من المسلمين قبل أن تعرف الكلية عدد من الجزائريات المسلمات أمثال Neffissa Haroudومريم بلوصيف وغيرهن وتعتبر مليكة مفتي أول صيدلية جزائرية .

وفي 1922م أصدرت مجموعة من أساتذة الطب والصيدلة المجلة الطبية le journal de médecine et chirugieالتي أصبحت تسمى Algérie médical de l’afique du nordفي 1927م وفي هذا العهد تمكن الأساتذة من إنشاء الجمعية الطبية للجزائر وفي 1930م ارتفع عدد الكراسي الأساسية للكلية إلى 20 وفي سنة 1956م إلى 32و14رئيس أعمال و30مساعد و20 رئيس عيادة و17 رئيس مخبر و32 محضر دروس و4مساعدين لعلم التشريح.

---

[1] يحمل شارع في بلكور اسمه إلى اليوم ،وهو من ألمع الأطباء في مدرسة الطب .

[2] L .bid op .cit,p06

كما تم إنشاء العديد من المعاهد التابعة لكلية الطب والصيدلة في السنوات اللاحقة ومن أشهر أعلام الكلية في الخمسينات نجد Costentine "قسطنطين"الذي نظم المؤتمر العالمي للكيس المائي في الجزائر و Robert Courrieعلم الخلية والأنسجة و Riene marcel de ribet et Eimile leblager (-1894 1977) في علم التشريع .وفي سنة 1958م تم استحداث كليات الطب في كل من وهران وقسنطينة ،وفي الموسم 1947-1948م كلية الطب استقطبت 1554طالب منهم 92 من المسلمين .ومنذ 1950م أصبحت الكلية تكون أطباء الأسنان وفق قانون 27جويلية 1950م.[1]

تم تزويد الكلية بمكتبة متخصصة من 1956م ومنذ1959أصبحت الكلية مختلطة للطب والصيدلة تضم 35 مقعدا أساسيا .ومن رموز الحركة الطلابية المسلمة والحركة الوطنية الذين درسوا في هذه الكلية نجد: فرحات عباس ،وبن خدة بن يوسف، والجيلالي بن تامي والحاج منصوري وعليوة مداني..." ومن الملتحقين بالثورة نجد يوسف الخطيب ،وبوخروبة وعبد الحليم مجاوي وغيرهم....

2-كلية الأداب والعلوم الإنسانية :

أنشأت هذه الكلية بمقتضى قانون 03ديسمبر 1909م وبذلك لم تكن المرحلة 1880م 1909م سوى مرحلة تحضيرية بمعنى وجود مدرسة الآداب دون أن تمنح الشهادة (الليسانس).واهتمت المدرسة في هذه المرحلة بدراسة الجزائر وتاريخ الشعب العربي والأمازيغي –اللغات واللهجات المحلية –الأثار الرومانية والعربية والثقافة الشرقية .

واقتصر أداء هذه الكلية في هذه المرحلة بتقديم مجموعة من الشهادات (الأهليات) في العربية والأمازيغية وتكوين الموظفين الإداريين المحليين ،ومنذ 1909م بدأت هذه الكلية تتطور شيئا فشيئا ،فبدأت توفق بين الدراسات المحلية والتعليم العالي

[1] العكروت خميلي ،جامعة الجزائريين الأهداف الاستعمارية وتكوين الطلبة المسلمين (1909-1956)مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ المعاصر ،قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،الجزائر 2008-2009ص57

العام ،واستمر المغرب وإفريقيا كمنبع بحث لا ينضب وفضاء علمي أوسع من ذلك الموجود في فرنسا ،في الفلسفة،وفي التاريخ والآداب والجغرافيا ...الخ.

3- الدراسات الفلسفية والآداب:

فبداية الفلسفة كانت في الفلسفة الإسلامية فالسيد Gautierشغل مقعد الفلسفة حتى سنة 1932م وأصدر أعمالا قيمة مثل :مصادر الفلسفة السياسية في ق 16-وعلى ضوء فلسفة ديكارت ،وطور قسم الفلسفة بخلق قسم البسيكولوجيا (علم النفس) مخبر لعلم النفس التجريبي ومعهد للدراسات الفلسفية ،وترأس السيد Bourgeyقسم علم النفس عام 1953م وقدم أعمالا مثل ملاحظات وتطبيقات على الأطباء.

أما بالنسبة لمقعد الآداب واللغات القديمة المنشأة سنة 1910م فقد شغله Hougonصاحب أعمال كثيرة على الحضارة الرومانية في إفريقيا ثم خلفه الأستاذ Gernet1927-1948م وبفضل أعمال هؤلاء الأساتذة على اللغات القديمة (الفرنسية اللاتينية ،الإغريقية)أخذت كلية الآداب في الجزائر مكانة هامة بين الكليات الفرنسية .[1]

ب-الدراسات التاريخية:

شكلت إفريقيا الشمالية محور الاهتمام التاريخي ونظرا لهذا الاهتمام فقد خلق نوع من التخصص في هذا القسم في الدراسات لشمال إفريقيا ،وتم استحداث مقعد وشهادة لهذا التخصص (شهادة الدراسات العليا الأنثولوجيا وما قبل التاريخ لشمال إفريقيا)وضمن السيد Riay gosseهذا النوع من التدريس لغاية تقاعده ،ثم خلفه Boletسنة 1958م وأصبح هذا الآخير عميد كلية الآداب في هذه السنة 1958م.

[1]جامعة الجزائريين الأهداف الاستعمارية وتكوين الطلبة المسلمين ص59-60

أما مقعد التاريخ القديم لإفريقي فقد شغله السيد:Ferone corcopino1912-1920م و Aiyin Alboctine1920-1931م ثم Luis luche932-1954م.

وعرفت سنة 1923م خلق مصالح التاريخ القديم بفضل مجهودات Gzellمدير متحف التاريخ القديم للجزائر منذ سنة 1902وخلفه Albertino1931-1941م.

التاريخ الحديث لإفريقيا أيضا بدأ يعرف طريقة منذ استحداث مقعد له سنة1921م شغله Yverحتى سنة 1937م كان يدرس العصور الوسطى والتاريخ الحديث قبل فصل العصور الوسطى بمقعد خاص سنة 1946م.

أما التاريخ المعاصر وبفضل الأستاذ Alezarتوجه إلى دراسة الفنون ،وعمل على إنشاء المتحف الوطني للفنون الجميلة ،كما ساهم بدراسات هامة منها أو وثائق متعلقة باتفاقية تافنة 1924م ومراسلات المارشال فاي 1948م-1957م ثم خلفه Emirit Miarcel1957-1941م واهتم بتاريخ فرنسا في إفريقيا الشمالية .

احتلت الدراسات التاريخية مكانة هامة في كلية الآداب وذلك بخلق الكثير من الإنجازات التي تشهد بذلك ،منها(متحف الباردو ،والتاريخ القديم في الجزائر ،متحف الفنون الجميلة)وإصدار عدد هام من النشريات والمجلات ،وكذلك نشاط الجمعية التاريخية التي تضم معظم الأساتذة.

ج-الدراسات الجغرافية:

بدأت الدراسات الجغرافية في المدرسة التحضيرية للأداب ثم في كلية الآداب قبل الإنشاء الرسمي لمعهد الجغرافيا في 10أفريل 1921م .ومن الأوائل في الدراسات الجغرافية نجد السيد Aug Bernardوذلك منذ تعيينه أستاذا في

الجزائر .وأصدر كتابا حول تطور نوميديا 1900م وأعمالا حول الصحراء وإفريقيا الغربية 1937م وأهم عمل قام به هو تعاونه مع أستاذ العلم Licheurوأنجز معا أول محاولة للتقسيم الجغرافي الإقليمي للجزائر .[1]

كما قام أستاذ الجغرافيا Lernaudعام 1920م بإصدار دليل أزرق للجزائر ثم قام بنشر تحقيق حول أنماط الحياة لدى الأهالي والهجرة ،وواصل الأعمال الديمغرافية والاقتصادية للجزائر لغاية 1927م ،وقام تلميذه Fsmardبدراسات هامة (دراسة جغرافية للجزائر 1946م)كذلك دراسة على وهران 1948م ،ودراسة حول احتلال سهل شلف 1953م لYacconoعلى شكل أطروحة ،إضافة لهذه الأعمال يمكن أن نضيف مجهودات أخرى للأساتذة من الجامعة حول جغرافيا الصحراء.

د–الدراسات الإسلامية :

احتلت الدراسات اللغوية والبربرية والحضارة الإسلامية وتاريخ البلدان الإسلامية المكانة الأولى من اهتمامات كلية الآداب فالعربية مثلا تداول على مقعدها السادة:Houdes،ابن أبي شنب،بلقاسم بن سديرة ،والسيدBasset العميد منذ 1919م الذي عرف بدراساته الاستشراقية قبل وفاته 1924م.

ثم خلفه السيد محمد بن أ بي شنب 1924م–1929ما الذي حصل على الدكتوراه في 1922م عن أطروحة بعنوان "أبو دلامة شاعر البلاط العباسي" ونشر أيضا قائمة عن المخطوطات العربية للجامع الكبير 1903م.

خلف ابن شنب السيدPérésالمكلف بالعربية الحديثة منذ1937م والذي اهتمت أعماله بالأندلس وصدرت له أعمال منذ 1937م منها إسبانيا في نظر الرحالة العرب 1610–1930م والشعر الأندلسي الكلاسيكي ق11 أشعار عبد القادر 1932م تاريخ البربر لابن خلدون 1956م ،وصف إفريقيا للإدريسي 1957م ،العربية الدارجة ،ديوان كثير عزة،الأربعين النووية 1950م والمكتبة العربية الفرنسية (11عدد) بين 1942–1953م،وبالنسبة للدراسات البربرية قد

[1] جامعة الجزائريين الأهداف الاستعمارية وتكوين الطلبة المسلمين ص60-61

تولاها المستشرق Riene Bassét،وشغل Doulteمنصب لتاريخ وحضارات البلدان الإسلامية ،وMearsaisشغل مقعد علم الأثار الإسلامية بين (1919-1945م)وقام بإنشاء متحف الجزائر للفنون الإسلامية ويحتوي على كنوز هامة ومراجع أساسية لذلك العصر اهتمت بالتاريخ الإسلامي في المغرب.[1]

3-كلية الحقوق والعلوم الاقتصادية:

تشكل هذه الكلية محصلة جهد طويل من أجل غرس تعليم عالي للحقوق مماثل لذلك الموجود في فرنسا إذ برزت أهمية التعليم العالي للحقوق منذ زمن بعيد ،ففي سنة 1857م ازداد الطلب على خلق مدرسة عليا للحقوق ،وفي 1872م تطورت الآراء في اتجاه إنجاز هذه المدرسة عن طريق الاقتطاع من ميزانية الجزائر ،وذلك تحت الطلب الملح لضرورة دراسته وتطوير التشريعات الجزائرية والحقوق الإسلامية .كما تم إنشاؤها في إطار قانون 20 ديسمبر 1879م الذي خلق المدارس العليا ،وبدأت المدرسة التحضيرية العليا دروسها في المسم 1879 – 1880 بأربع طلبة فقط ولم تكن المدرسة انذاك تحضر سوى الاهلية والباكالوريا في الحقوق . الا ان اعداد الطلبة اخذ في ارتفاع ،ومنذ 1881 م اصبحت المدرسة تحضر لامتحانات الثالثة ليسانس ، وقد اختصت مدرسة الحقوق في الجزائر بمنح شهادات خاصة في التشريع الجزائري والحقوق الاسلامية وفق مرسوم 31 ديسمبر 1889 بعد أن استلمت البناية المخصصة لها بين المدارس العليا ،لتحول لاحقا الى كلية وفق قانون 30 ديسمبر 1909 .

منذ إنشاء هذه الكلية وهي تتطور في اتجاهات مختلفة من حيث الاستقطاب الطلابي ، حيث سجلت المرتبة الثالثة بين الكليات الاخرى ب 1658 طالبا منهم 285 طالبا مسلما ،عام 1959 في اوج توسعها.

أما طاقم التدريس فضم 10 مقاعد رئيسية في 1910 منها مقعد التشريع الجزائري وأخر للحقوق الاسلامية ومقاعد الحقوق المعروفة (القانون المدني –الجنائي –الإداري –التجاري...)وعرفت إنشاء العديد من المقاعد المتخصصة الجديدة

[1] العكروت خميلي، المرجع لسابق،ص62-63

كالاقتصاد السياسي 1914م والحقوق الخاصة 1919م والحقوق الخاصة 1919م الحقوق العامة 1921م ثم تغيرت أسماء المقاعد بعد سنة 1959م وعموما فقد تطور عدد المقاعد الرئيسية للتدريس كما يلي :10 في 1909م ،1910،11،إلى 15 في 1930 وأخيرا 25 في 1959م وفي مطلع الخمسينات أصبحت هذه الكلية تشهد اكتظاظا طلابيا كبيرا (1658طالبا)سنة1958م حيث بلغ عدد الطلبة المسلمين 61 طالبا ،ثم 196سنة 1954-1955م وبعد إضراب 1956م لم يعد سوى 97طالبا إلى مقاعد الدراسة.

وأخيرا عملت هذه الكلية على استيفاء الحاجات القانونية والاقتصادية لتحقيق الإدماج القضائي التام للجزائريين في الإدارة الفرنسية الذي لم يتحقق إلى غاية الاستقلال.[1]

4-كلية العلوم :(النشأة –التطور – الحصيلة):

تعتبر المدرسة التحضيرية العليا للعلوم التي بدأت أعمالها منذ 1880م النواة الحقيقية لهذه الكلية التي تحصلت على صلاحيات هامة وفق قانون 30 ديسمبر 1909م إذ تعتبر الأحدث بين الكليات الفرنسية.

فالمدرسة التحضيرية للعلوم كانت تقدم تعليما قاعديا في الرياضيات والفيزياء والكيمياء وعلوم الحيوان وعلم النبات والجيولوجيا والمعادن ،وذلك تكريسا للهدف منها وهو دراسة كل العلوم المتعلقة بالأرض الموجودة عليها (أرض إفريقيا)ومطالبة بنفس التوجه نحو الدراسات المحلية كغيرها من كليات جامعة الجزائر .

تطورت هذه الكلية أيضا في مختلف الاتجاهات فتعداد الطلبة أخذ في ارتفاع وعرف أوجه في (1929-1956)حيث بلغ عدد الأساتذة 38و1600طالبا في سنة 1956.[2]

[1] العكروت الخميلي المرجع السابق،ص 64-66

[2] المرجع نفسه، ص67

نوعية التعليم: أيضا عرفت تطورا وتم إدخال العديد من التخصصات الحديثة للجزائر مثل الميكانيك العام وكذا الصناعات الزراعية والجيولوجية التطبيقية وعلم النبات الزراعي والتجاري ،البيولوجيا العامة والتطبيقية ....

ومنذ 1958م أدخلت بعض التخصصات من الجيل الثالث للعلوم كالفيزياء النظرية والنووية وعلم البترول وازداد التركيز على هذه التخصصات بخلق مركز الفيزياء النووية والذي سبقته مخابر متخصصة كثيرة بعد كلية العلوم كمخبر الفيزياء الصناعية المكلفة بالدراسات الأكاديمية والأبحاث والتطبيقات والتجارب على الخصائص الصناعية للمواد.

وكل هذه الأعمال على ارتباط مباشر بالاقتصاد وذلك بإجراء خبرات حسب الطلب للجهات المتخصصة (كهرباء–غاز الجزائر –مديرية الري–التجهيزات الرئيسية مدينة الجزائر)وكذا الشركات الخاصة للأشغال العمومية والمؤسسات المنجمية

وقدم هذا المخبر خدمات جليلة لاكتشاف واستغلال خبرات الجزائر –فنجد من الأبحاث المنجزة دراسة مشاكل الاقتصاد الجزائري (المياه الصحراء)وحركة الرمال وتوسعها وكذا حماية الطرق الصحراوية ، ودائما في خدمة الصناعة والزراعة والعمران تم إنشاء مخابر مختلفة في مخبر الري على المساحات ...تم اختبارات على القنوات الكبرى وكذلك تجريب الخرسانة والإسمنت كما ضم المخبر فرن تجريبي يصل إلى 2500درجة مئوية .[1]

الكيمياء أيضا أخذت موقعها في طلبة العلوم وذلك عن طريق إنشاء مخبر الكيمياء العامة الذي أجرى أبحاث هامة حول توازن السوائل وغيرها من أعمال الكيمياء وكذلك نجد مخبر الكيمياء التطبيقية الذي وضع تحت تصرف مصالح الحكومة العامة لمعالجة المشاكل المحلية في هذا المجال مثل تحليل الفوسفات والبحث عن اليورانيوم وتحليل المياه وكذلك استغلال الطاقة الشمسية وقياس تغيير ملوحة البحر ورطوبة التربة وقياس مستوى الأنهار عن طريق التحليل الكيميائي ودراسة مشاريع إنشاء السدود ومن أهم التخصصات التي احتوتها مدرسة العلوم نجد علوم الأرض والتي ترجم أعمالها مخبر الجيولوجيا العامة والتطبيقية للصناعة والزراعة وذلك بفضل مجهودات Pomlوالذي اهتم بالجيولوجيا المنجمية لعلاقته

[1] العكروت الخميلي، المرجع السابق ص68

بمصالح المناجم ،من نتائج هذا المختبر بالتعاون مع مجموعة من الباحثين صدر مع المهندس Paupane أول خريطة جيولوجية للجزائر 1889.

4-**المعاهد الجامعية**:تتجه الدراسات العليا دائما نحو التخصص ونظرا للتطور السريع الذي عرفته جامعة الجزائر في الفترة الاستعمارية سواء في مجال العلوم أو الحقوق أو الاقتصاد أو الآداب أو الطب فقد تم إنشاء معاهد متخصصة في فترات مختلفة حسب ما أوحت به ضرورات البحث والفضول العلمي وكذا اكتشاف مناجمه والحاجة لبعض التخصصات من جهة أخرى فقد غصت الكليات بالكثير من المعاهد الجامعية والتي من بينها:

1-معهد الأبحاث الصحراوية (IRS) :

وقد أنشئ بموجب قانون 10-7-1937استجابة لرغبة أكاديمية العلوم الاستعمارية لدراسة وتثمين الصحراء وربطها بمحيط إفريقيا الفرنسية جنوب الصحراء.

يتكون طاقم عمل المعهد من 50 عضوا دائم من جامعة الجزائر ومن مختلف التخصصات وبعض الأعضاء من فرنسا وإفريقيا الشمالية وإفريقيا جنوب الصحراء ،هذا الطاقم تسيره لجنة مديرة من 10 أعضاء يترأسها عالم النبات Rmaire ثم باحث الجيولوجياMdalloni وكان مقرا لمعهد في ....معهد الجغرافيا قبل أن يجد له مقرا حددت المادة الرابعة من القانون 10جويلية مهمة هذا المعهد و المتمثلة في توثيق واستغلال ونشر الوثائق حول الصحراء من أبحاث وتنظيم هذه الوثائق وجردها عن طريق تقنيات التوثيق وتم إنشاء مكتبات متخصصة في الصحراء تنشر كل المستجدات حول الصحراء منها تغطية جوية بالصور للصحراء الجزائرية .[1]

نظم المعهد رحلات استكشافية للصحراء وجماعية للعلماء نذكر منها مهمة فزان 1944-1945 وضمت 12عالما انتهت بإصدار 6 مذكرات حول الصحراء الليبية.

[1] العكروت خميلي،المرجع السابق،ص70

-مهمة(تاسيلي ناجر) 1945م انتهت باكتشافات هامة :

-النشريات الصادرة عن المعهد فنجد الحوليات الصحراوية وهي أعمال دون اسم ضمت ملاحظات وتقارير ومقالات 17جزء وأيضا المذكرات الخاصة .[1]

بفضل مجهودات علماء وباحثين تابعين للمعهد عرفت الصحراء اكتشافات هامة في المعادن والطاقة وما قبل التاريخ ،وذلك بالتعاون والتنسيق بين علماء من جنسيات مختلفة ومن كل التخصصات ،هذا ما أدى إلى الاكتشاف العلمي للصحراء (المناخ-المياه-النبات-المعادن)ومعرفة ظروفها وإمكانية تطويرها.

5-2معهد الدراسات الإسلامية العليا:

وهو معهد جامعي متخصص في الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الفرنسية ،إذ يتمكن الطلاب حاملي شهادة البكالوريا من التعليم الثانوي (الثانويات الفرنسية الإسلامية)والذين اختاروا العربية كلغة حية أولى من الالتحاق به كما يمكن غير الحاملين للبكالوريا من دخول المعهد عن طريق مسابقة وذلك منذ أكتوبر 1946م تاريخ افتتاح المعهد في le palais d'hwer في شارع لافيجري .[2]،يسهر على تقديم الدروس أساتذة من قسم الأداب والحقوق وأساتذة ثانويين في المواد التالية (الفلسفة الإسلامية –اللغة والآداب العربية –الحقوق الإسلامية –حفظ القرآن –الحديث –ترجمة النصوص المختلفة –المواريث والقواعد)أما المواد المدرسة بالفرنسية فهي (الحضارة الفرنسية –اللغة الفرنسية –تاريخ وجغرافية العالم الإسلامي-الحقوق الإدارية –القانون المدني -الاقتصاد السياسي- التشريع الجزائري...)

-مدة الدراسة هي عام واحد لحملة البكالوريا وسنتين لمجتازي المسابقة ويمكن للطلبة الاختيار بين ثلاثة تخصصات :

التخصص القضائي :يكون القضاة المسلمين

[1] العكروت خميلي المرجع السابق،ص70

[2] المرجع نفسه،ص71

-التخصص الأدبي :ويكون أساتذة العربية

-التخصص الإداري: ويكون المترجمين والموظفين والإداريين .

كما يمكن لهم تحضير الليسانس بعد الحصول على شهادة المعهد في كلية الحقوق والآداب عن طريق مسابقة من الدرجة الأولى .

وبذلك يحظى هذا المعهد بمكانة هامة في جامعة الجزائر والجامعات الفرنسية عموما وسمعة طيبة بين الطلاب المسلمين لاحترامه للغة العربية والدين الإسلامي.

3-معهد الدراسات السياسية:

أنشئ هذا المعهد بموجب قانون 2أوت 1949م تطبيقا للأمرية رقم 2283/45(9أكتوبر1945م)المتعلقة بمعاهد الدراسات السياسية ....بمرسوم 45/2288(9أكتوبر 1945)الخاص بالتنظيم الإداري العمومي الفرنسي ،وجاء هذا المعهد مكملا لقسم العلوم الإدارية والاجتماعية الاستعمارية لجامعة الجزائر المنشأ وفق قانون 19نوفمبر 1941م

وبدأ يعمل في الموسم 1947-1948مفي انتظار تحويله معهدا للعلوم السياسية في وقت لم يكن موجودا هذا التخصص سوى بعض الجامعات الفرنسية (ليون –تةلوز –بوردو).[1]

وتشير المادة الأولى من أمريته 9أكتوبر 1945م إلى المهمة المزدوجة لهذا المعهد فمن جهة يكمل عمل كليات الحقوق والآداب في الجانب الاقتصادي والإداري والاجتماعي ومن جهة أخرى يؤهل الطلاب ويزودهم بمناهج العمل لحل الإشكاليات المتعلقة بالأمور الإدارية والحياة الاجتماعية ،إما يؤهل الطلبة لدخول المدرسة العليا للإدارة والمهام الإدارية المختلفة وأيضا تضمن المدرسة تكوينات تطبيقيا في الوظيف العمومي الفرنسي الخاص.

[1] العكروت خميلي المرجع السابق،ص70

التكوين في هذا المعهد يدوم ثلاثة سنوات بعد البكالوريا ويقدم الشهادات التالية :

-شهادة الدراسات الشمال إفريقية للطلبة المحليين

-شهادة الدراسات السياسية للطلبة الأجانب.

هذا النوع من التكوين جعل هذا المعهد الأول والفريد من نوعه في شمال إفريقيا في مجال التكوين الإداري للإطارات ،وهذا الدور يعتبر تكميلي لدراسات الحقوق والآداب ويستجيب لحاجات الوظيفة المحلية للشباب الفرنسي في إفريقيا الفرنسية [1].

4-معهد التمدين:

أنشئ هذا المعهد بموجب قانون 11جويلية 1942م ولم يبدأ العمل إلا في سنة 1946م الغرض منه إنشاؤه في تنسيق وتطوير الأبحاث المتعلقة بإنشاء وتطوير المدن ، وعلى الخصوص تلك الدراسات المتعلقة بالمدن الشمال إفريقية في تنظيمها وتوسعها العمراني وتنظيمها الإداري والاقتصادي والاجتماعي.[2]

التكوين في هذا المعهد موجه إلى المختصين في التصديق (مهندسين معماريين تقنيين)وكذلك موجه لتأهيل الموظفين في المصالح العامة للمدعوين لمعالجة مشاكل المدن والتمدين فهذا بغرض مواجهة المشاكل المتعلقة بالتهيئة العمرانية والتجهيزات وتطوير قدراتهم في التخصص لقلة المتخصصين آنذاك .

يمنح المعهد شهادة في التخصص بعد سنتين من الدراسة وبرنامج التعليم يتناول المقاييس التالية (التاريخ والجغرافيا – الحقوق-علم الاجتماع والاقتصاد تقنيات تهيئة المدن)وتوكل الدروس لأساتذة المادة وأهل الاختصاص وتنتهي الدراسة

[1] العكروت خميلي المرجع السابق،ص72

[2] المرجع نفسه ،ص74

بإنجاز الطالب لمخطط تهيئة لبلدية صغيرة عادة ما يستخدم هذه الأبحاث في عملية التهيئة الرسمية للعينات المستهدفة في البلديات .

6-5معهد التربية البدنية والرياضية:

أنشئ هذا المعهد ليعوض المركز العالي للتربية البدنية الموجودة في الجامعة منذ 1937م وذلك بموجب قانون 24أفريل 1944م ،الهدف من إنشائه هو خلق مركز للأبحاث العلمية التطبيقية للتربية البدنية والرياضة وفي نفس الوقت موجه لتكوين مربين (أساتذة) في التربية البدنية والرياضة إذ ينهي التعليم بشهادة الكفاءة للأساتذة .

يتخذ من كلية الطب مقرا لها في مخبر الفيزيولوجيا منذ 1943م ويسيره أستاذ من كلية الطب آنذاك ويتمتع بميزانية خاصة مستقلة عن ميزانية الجامعة ،جلها من حقوق تسجيل الطلبة وتبرعات الجماعات المحلية.

وفي الأخير يمكن القول بأن هذه الكليات قامت بمجهودات علمية جبارة في الفترة الاستعمارية التي مكنت من إجراء الدراسات المتخصصة في المشاكل ذات الطابع العلمي والتقني أدت إلى اكتشاف الجزائر (الاكتشاف العلمي للجزائر)كما كانت تلك المجهودات العلمية الجبارة كانت في صالح ثراء المستوطنين والأوروبيين والكثير من الشركات التي أنشأت لهذا الغرض ،وبالتالي كانت في صالح توسع وثراء فرنسا على حساب الجزائريين الذين لم يستفيدوا في كل الأحوال من ثرواتهم إلا بوصفهم عمالا ....مكن هذا الاكتشاف من استغلال الثروات الموجودة وحل بعض المعضلات المتعلقة بالاقتصاد الاستغلالي.[1]

[1] العكروت خميلي المرجع السابق،ص75

المبحث الرابع :الأهداف العلمية و الاستعمارية للجامعة:

1_الأهداف العلمية :

يرى الكثير من الباحثين أن الإيديولوجية الاستعمارية في مختلف أوجهها تهدف للهيمنة السياسية

و الاستغلال الاقتصادي و على هذا الأساس يُطرح السّؤال _هل يمكن الفصل بين ما هو ثقافي و ما هو سياسي من الإيديولوجية الاستعمارية و مخططاتها؟

الواقع أن المسألة مترابطة، فيظهر الجهد العلمي و مؤسساته كأداة وظّفها الاستعمار لخدمة الإيديولوجية الثقافية و أيضا لتنمية أساليب الاستغلال و الانتفاع مع بلد شاسع المساحة متعدد الخيرات مثل الجزائر.

إنّ فهم الدور العلمي لجامعة الجزائر يقتضي وضعها في سياقها الرئيسي و هو السياسة الثقافية و التعليمية الفرنسية في الجزائر، ولا يمكن فهم هذا الدور إلا بالعودة لمراحل نشأة و تطور مؤسسات التكوين و التعليم و منها الجامعة.

تنبّه القائمين على الاستعمار من عسكر و سياسة أنّ إرساء نمط من التعليم و ممارسة بعض المهن النبيلة كالطب ،يساعد على استقرار الاستعمار و يضمن بقاءه[1] ، لذلك كان الرهان كبيرا على المدرسة و الطب فقد صرّح الدوق "دومال" يوما أنّ بناء المدرسة يعادل فيلق عسكري لإحلال الأمن. [2]

كما راهن آخرون على الطب بالقول "الطب يجمعنا و الدين يفرقنا."

[1] _ إيفون تبران ، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة دار القصبة ، الجزائر 2007 ، ص 21.

[2] _المرجع نفسه ص 55و المقولة المقتبسة من تصريح الجنرال دولاري و نسبها آخرون الى عميد أكاديمية الجزائر.

إنّ الرهان على الطب كان حاجة ملحة و ضرورة لا غنى عنها للاستمرار في التوسع آنذاك ، فالطب لا يمثل عملا إنسانيا فحسب بل كان عاملا للتقارب بين الأوروبيين الغزاة و السكان المحليين إذ يعكس انطباع الإشفاء من المرض تلك الرسالة الحضارية المزعومة لذلك كانت مدرسة الطب أولى المدارس العليا المنشأة في الجزائر 1859م ،لتخدم هذا النوع من التفكير الاستعماري و تضمن الخدمة الضرورية للجيش والاستيطان.

إنّ مدرسة الطب هي التي فتحت الشهية العلمية لباقي التخصصات و العلوم خاصة الترجمة ، و أوحت أيضا بامتلاك لفضاء علمي واسع يتنوع غطائها النباتي و بيئتها ،فراح الأطباء و الصيادلة يجرون الأبحاث على النباتات الطبية لشمال إفريقية و إمكانيات استغلالاتها الصيدلانية ،و كذلك صناعة العطور ،وحتى المجالات للحلفاء في صناعة الورق.

هذا التوجه العلمي العام كان قد رسمه البارون "بترون" في حفل بالمدرسة العسكرية للطب في 23 جانفي 1833م حيث صرّح" مدرسة الطب بمثابة الشعلة العلمية للأجيال القادمة في بلد نحن بحاجة لمعرفة كل شيء عنه ،يجب دراسة المناخ اليوم، الأرض المنتوجات و التطورات الممكنة للثقافة عادات السكان

و تقاليدهم وطرقهم في الحياة ،تحضرهم و تعلمهم ،إمكانية تطوير هذا و ذاك".[1]

طبعا لم تكن مدرسة الطب قادرة على إنجاز هذه المهمة التي تبدو علمية و كبيرة و تحتاج الى مؤسسات قائمة تعمل على دراسة الجزائر من جميع النواحي و لفترة قد يطول أمدها، خاصة وأن الاستعمار كان في سنواته الأولى ولم يتم تحديد مصيره.

[1] Paoli ; op .cit.p409.

سارت مختلف الآراء و الأفكار المدافعة على إنشاء المدارس العليا في نفس هذا الاتجاه قبل الإنشاء الرسمي للجامعة الفرنسية في الجزائر سنة 1909م فنجد مثلا من أهم هؤلاء السيد "بول بارت " و الذي دافع عن إنشاء تعليم عالي في الجزائر .

يمكن من دراسة الجزائر دراسة علمية، فقد ركّز تقريره سنة 1877م على الحاجة الملحة لتطوير الزراعة و الصناعة محليا ،وكذلك ضرورة دراسة الثروات المختلفة التي تزخر بها الجزائر من مناجم و معادن ،و كذلك ضرورة البدء في الأشغال الكبرى المتعلقة بالاستغلال الاقتصادي و الاستيطان.

سكك الحديد و بناء الجسور، و ركّز بول بارت على غربة الإنسان الأوروبي في هذه الأرض الشاسعة و التي يجهل عنها وعن سكانها كل شيء كلغة السكان و عاداتهم و طرقهم في الحياة و تنظيماتهم المختلفة.

إن التساءل عن ضرورات الإدماج الملحة الذي أصبح فجوة قوية في عهده مرتبطة بالاستيطان و بذلك تمكن من إقناع القيادة السياسة الجمهورية الثالثة بجدوى مشروعة.[1] إن هذا و لا شك ارتباطه الوثيق بتحقيق أهداف الاستعمار خاصة الاستغلال الاقتصادي و الاستيطان بإيجاد الطرق المثلى لإحكام السيطرة على الأهالي محليا و كذلك الطرق العلمية و التقنية لاستغلال خيرات الجزائر ،وإيجاد سبل تطبيق العلوم عليها .

كانت المدارس العليا في وضع محرج مطلع القرن العشرين ،إذا كانت تتعرض للنقد ، و تم محاكمتها سياسيا قبل أن تقيم علميا ، و ذلك بقياس رصيدها بمدى خدمتها للاستعمار.

[1] _ العكروت الخميلي ، المرجع السابق ، ص 137.

كانت مرافعات السيد عميد أكاديمية الجزائر jean maire و كذلك وزير التعليمmartin قبيل إنشاء الجامعة تمتدح الرصيد العلمي للمدارس العليا ،في محاولة للدفاع عنها ،و تشيد بمجهودات أساتذتها في مختلف التخصصات بتأكيد توجهها الشمال الإفريقي عامة، و الدراسة العلمية للجزائر خاصة .

فقد صرّح السيد وزير التعليم اثناء مؤتمر جمعية العلماء 1905م ما يلي "المدارس العليا ينبغي أن تبقى مسرحا للثقافة العالية لكن ينبغي أن تتلائم شيئا فشيئا مع احتياجات البلد الموجودة فيه يجب أن يأخذ التعليم العالي شكلا خاصا يتعاون مع كل ما يخدم ثراء و توسع البلاد."

رسم وزير التعليم بهذا التصريح ،معالم الخط العلمي للجامعة المزمع إنشائها ،و قد سارت جامعة الجزائر بعد إنشائها على الخطوط المرسومة للمدارس العليا.

ولم يحدث شيء جديد في القانون الأساسي المنشأ لها سوى التكيف القانوني الذي رفعها لدرجة جامعة.

و عموما فإن جامعة الجزائر في الفترة الاستعمارية سارت على الخط العلمي وسعيا لتحقيق الأهداف التالية إما يستنتج من التصريحات القائمين على التعليم آنذاك.[1]

1_ السعي لبلوغ مصاف الجامعات الفرنسية العريقة من حيث قيمة العلوم التي تقدمها .

2_ تأخذ الطابع الفرنسي العام ،و الشكل الشمال الإفريقي المحلي ،بمعنى توظيف المناهج الفرنسية في مختلف العلوم للدراسة العلمية إفريقيا عامة و الجزائر خاصة .

[1] _ العكروت الخميلي ، المرجع السابق ، ص138

3_ تتوجه نحو العناية بكل ما هو محلي في مختلف المجالات و بذلك تستجيب للحاجات المحلية للمستعمرة.

4_ تتلاءم مع البيئة المنشأة فيها و الحاجات الخاصة بها في مجال تكوين الإطارات المدعوة للعمل في شمال إفريقيا.

5_ التعاون مع كل ما يخدم ثراء فرنسا و توسعها بمعنى توجيه الأبحاث ،و نحو الاستغلال الاقتصادي و التوسع الاستعماري.

6_ أن تكون مؤسسة في خدمة الأبحاث ،و تطبيق العلوم على البيئة الشمال إفريقية في مختلف الميادين الإنسانية و التقنية.

أما في السنوات الأخيرة للاستعمار ،فقد ازداد اهتمام الجامعة بالصحراء و أصبحت فضاء علميا استراتيجيا فعليها تم الحلم بتحقيق المشروع النووي الفرنسي من خلال معهد الأبحاث النووية المنشأ عام 1958م و كذلك الدراسات البترولية ،و بعد اكتشاف البترول في الجزائر ، و ذلك تمهيدا لاستغلالها استراتيجيا .

سايرت جامعة الجزائر الإيديولوجية الاستعمارية ،و سارت على نفس الخط العلمي المحدد لها، و ذلك بالاهتمام بكل ما هو محلي و تطبيق العلوم على البيئة الشمال الإفريقية.[1]

2_ الأهداف السياسية:

[1] العركوت الخميلي ، المرجع السابق، ص 138.

نصطدم في تحديد الأهداف السياسية لجامعة الجزائر الفرنسية بسؤال جدلي بمعنى هل لإنشاء الجامعة غاية سياسية؟ أم وسيلة لتحقيق أهداف سياسية استعمارية .

في الواقع أن المسألة كانت تسير في الاتجاهين معا ،بمعنى أن انشاء الجامعة كان هدفا سياسيا تبلور بفضل الخدمات الجليلة التي قدمتها المدارس العليا للاستعمار رغم تحفظ بعض الساسة من جدوى انشاء جامعة فرنسية في الجزائر بحجة كونها قد تخلق عقلية جزائرية خطيرة و هو رأي بعض المعمرين؟

لقد كان على الجامعة أن تؤدي دورا هاما في التأثير الفكري و الروحي على الأهالي المنتمين إليها ،إذ كان عليها أن تمنح الشرعية للاستعمار من ناحية، و تضمن استمرار النتائج السياسية المتمثلة في ايجاد أنجح السبل لفرض السلطة على المجتمع الجزائري .

من جهة أخرى نجد أنفسنا مضطرين لإعادة الجامعة الى سياقها العام و هو السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر و من ثم يبرز ارتباطها بالأهداف العامة للسياسة التعليمية خاصة تلك الأهداف المتمثلة في تثبيت أركان الاستعمار عن طريق تعزيز إمكانيات الاستيطان.[1]

و مجاراة سياسة الإدماج و العمل على تحقيق الجزء المنوط بالجامعة منه ، وكذلك العمل على توسيع النفوذ الاستعماري الاستيطاني الاستغلالي ليشمل الصحراء و المستعمرات الفرنسية في إفريقيا .

إنّ نقل معطيات الثقافة الغربية من خلال تحقيق الفرنسية على نطاق واسع بنشر الثقافة الأوروبية الى أبعد حدود بشكل تدريجي و عليه أمكننا تمييز الأهداف السياسية التالية:

[1] _Charles Robert .Alger : Les musulmans algériens la France1887_1919.(TL_Paris _19681).p 49.50.

أ_ الجامعة وسيلة للاستيطان: المعروف أن الاستيطان الأوروبي قد ساير التوسع الاستعماري منذ السنوات الأولى للاحتلال .

و تذكر المصادر الاستعمارية أنّه منذ 1830م أي عندما تمكنت فرنسا من فرض الأمن على معظم التراب الجزائري شرعت في عملية التأثير الروحي و الفكري على الرعايا الجدد عن طريق تطوير المؤسسات التعليمية و إدخال الطلبة المسلمين الى المؤسسات الثانوية و العالية ولكن يبرز لنا سؤال في غاية الأهمية وهو من هم جمهور الجامعة منذ نشأتها ؟

وحسب الإحصائيات أن الشباب الأوروبي من أبناء المعمرين شكلوا الأغلبية من رواد الجامعة، وأن حجم الطلبة المسلمين الجزائريين لم يتجاوز في أوج حالاته 15% هذا الإقبال الكثيف للعنصر الفرنسي و الأوروبي على جامعة الجزائر مرتبط أساسا بالاستيطان الذي عملت السلطات الفرنسية الاستعمارية على إنجاحه بتوفير كل الشروط ،ومنها توفير مؤسسات التعليم والتكوين لأبناء المستوطنين ، و لمختلف فئات الفرنسيين العامليين بالجزائر.

كانت سلطات الاحتلال تتخوف كثيرا من الهجرة في اتجاه فرنسا مهما كانت الأسباب ، ومنها طلب العلم و استجابة لإرادة نخبة من المثقفين و السياسيين جاء مشروع الجامعة ليصب في هذا التوجه .

ب_ الجامعة و سياسة الإدماج: كانت سياسة الإدماج قد قطعت أشواطا كبيرة قبل مجيء الحاكم العام "شار جونار".[1]

[1] _العكروت الخميلي ، المرجع السابق ،ص 141.

الذي أنشأت في عهده جامعة الجزائر، الذي عمل على تطبيق سياسة الأهلية و التي يهدف من ورائها إلى خلق طبقة مثقفة من الأهالي تعمل على تعديل موازين القوى التي كانت تسير في صالح المستوطنين إلى درجة التهديد بالانفصال عن طريق الوطن الأم.

كانت هذه الطبقة التي راهن عليها "جونار" مدعوة أيضا للعب دور الوساطة بين الأهالي عامة و الإدارة ،بجعلهم أداة إيجابية في يد الادارة تعكس صورة الرسالة الحضارية المزعومة.

إن سياسة "جونار" هي دعم مشروع الجامعة لصالح المعمرين، ودعواه لتوجيه الأهالي نحو التكوين الزراعي و الصناعي لا تندرج في إطار سياسة الإدماج لأن الرجل كان من أنصار الجزائر المستعمرة لا الجزائر المدمجة ، ولذلك فإن نظرته لإنشاء الجامعة كانت نظرة استيطانية استعمارية لما تلعبه من دور في ترسيخ الاستعمار لذلك عمل على تشجيع الآداب الأهلية الثقافة التقليدية المحلية لصالح الجزائريين و في إطار خاص ضمن سياسة الأهلية.

ظلت مسألة الإدماج قضية إشكالية و محل جدل كبير بين الساسة الفرنسيين كما لديها من أوجه وما تتطلبه من زمن طويل للتحقيق.[1]

فالمسألة كانت تدريجية ،وذلك لأنّ مفهوم الإدماج من الناحية السياسية يعني جعل الجزائريين سياسيا واقتصاديا واجتماعيا و إداريا فرنسيين يتمتعون بالحقوق السياسية الفرنسية و يتلقون التعليم الفرنسي بكل مرحلة ويرقون الوظائف العامة .

[1] العكروت الخميلي ، المرجع السابق ،ص 141.

الحقيقة أن هذا المعنى لم يكن محققا لأن الجزائريين عامة و الكثير من النخبة قد رفض مسألة التجنس لارتباطها بالتخلي عن الأحوال الشخصية كما هو معروف.

كما أن التجنس كان يخضع لشروط ولم يطبق على نطاق واسع سواء في مشاريع "فيوليت" أو غيرها طيلة الفترة التي كثر فيها الجدل السياسي حول مسألة الادماج و آلياتها و متطلباتها و المقصودين بها .

الجزائر إداريا كانت إقليما فرنسيا وفقا لقانون الالحاق 1834م و التنظيمات الادارية الأخرى لكن الجزائريين ظلوا تحت رحمة قانون الأهالي.

إن منطق الإدماج كان يتطلب تحقيق التماثل الكامل في جميع المجالات بين الجزائر و فرنسا و هذا ما كان يبدو صعبا إن لم نقل مستحيلا ،فإذا نظرنا إلى فئة النخبة المنتمية إلى جامعة الجزائر من الأهالي فإننا نجد أغلبهم يتمسك بأحواله الشخصية الإسلامية ،وهذه المسألة كثير الحواجز أمام الادماج.[1]

الإدماج من الناحية الاجتماعية أثبت فشله في الوسط الجامعي ، لأن وجود الطلبة المسلمين في الوسط الفرنسي كان مرفوضا من الفرنسيين أنفسهم ،من خلال المعاملات العنصرية و الإقصاءات و غيرها من السلوكات التي جعلت محيط الجامعة يسير عكس ذلك الاتجاه اجتماعيا.

أما من الناحية القانونية فقد كان رجال القانون المشتغلين بكلية الحقوق يجتهدون في التمييز بين القوانين الخاصة بالجزائر ، و القانون الفرنسي العام و خير مثال على ذلك إصدار "قانون الجزائر"*ودراسة التشريعات

[1] _العكروت الخميلي ،المرجع نفسه،ص142.

*قام عميد كلية الحقوق السيد إستميلو بإصدار هذا المجلد بالتعاون مع نخبة من أساتذة الحقوق العاملين في الجزائر في عهد المدارس العليا.

الجزائرية بشكل متميز عن التشريعات الفرنسية ، و كذلك فصل التعليم الإسلامي العالي بإنشاء معهد الدراسات الإسلامية لتخريج القضاة الإسلاميين وأعوان القضاء للنظر في الخصومات المتعلقة بالأحوال الشخصية الإسلامية ،وهذا ما يوحي بالابتعاد موضوعيا عن ايجاد آليات قانونية تقترب من تشريع شامل يمهد لمسألة الاستيعاب القانوني الصعبة المنال من خلال تطبيق القوانين الفرنسية على نطاق واسع .

ازداد إقبال الطلبة المسلمين على دراسة الحقوق الفرنسية بعد سنة1947م أي بعد إصدار قانون الجزائر 1947م لكن الزمن كان قد تأخر لتحقيق الادماج و دواعي الانفصال كانت أكثر من أي وقت مضى.

و مهما كانت ضمانات الادماج على المستوى السياسي ، فإن المسألة على المستوى الثقافي كانت تأخذ أبعاد أخرى ، كالاغتراب والاستيلاب الثقافي وغيرها من مظاهر الغزو الثقافي الذي أفقد شخصية الكثير من المنتسبين لجامعة الجزائر و بدت على كثير منهم ملامح التفرس.[1]

ج _ الجامعة والفرنسة:

إن تأسيس الاستعمار لمنظومته الثقافية يعتبر اعتداء بشكل أو بآخر على النظم الثقافية و كل نظمه تهدف الى الفرنسة التدريجية لمختلف مناحي الحياة الجزائرية ، الفرنسة لا تعني فقط استخدام اللغة الفرنسية على نطاق واسع ، بل نعني بالفرنسة احلال الثقافة الفرنسية محل الثقافة العربية الاسلامية في الجزائر ، حتى ينسى الجزائريون بمرور الزمن لغتهم العربية و ثقافتهم القومية ، ويستبدلونها بلغة وثقافة المستعمر ، و بذلك تصبغ

[1] _العكروت خميلي ، المرجع نفسه، ص 143.

البلاد بالصيغة الفرنسية ، في طريقة الحياة ولغة التخاطب و العلوم بمعنى العمل على جعل الجزائر هي فرنسا.[1]

الواقع أن مسألة اكتساب اللغة و التفرنس التدريجي كانت تتم في المراحل الأولى للتعليم الابتدائي و الثانوي.[2]

جاءت هندسة جامعة الجزائر لتستجيب لغرض الفرنسة ،بل أن الطالب الجزائري في الجامعة الفرنسية لم يكن يميز بزيه أو ملامحه العربية ، فكانت تلك الملامح رمزا للدونية مثلما تساءل "بن جبيليس": "الشاشية رمز للدونية"*[3] القضية الأساسية بالنسبة للإدارة الاستعمارية كانت تكمن في التكوين الفكري و الروحي و المثال على ذلك شخصية "ابن أبي شنب" و الذي كان يرتدي الزي الجزائري الأصيل بينما لا يخشى السلطات شيئا من مسألة ولائه لفرنسا.

كان محيط جامعة الجزائر فرنسيا بحتا ،لغربة اللغة العربية و الثقافية المحلية فيه فالطلبة المسلمون أقلية ، و الحياة العلمية و لغة التواصل كانت الفرنسية فهي القاسم المشترك بين جميع الطلبة الفرنسيين و الأجانب الأهالي.

[1] _أحمد بن نعمان ، التقريب بين المبدأ أو التطبيق ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر _ 1981،ص 115.

[2] _ الطاّهر العمري ، تأثير المعلمين الفرنسيين في اتجاهات المثقفين الجزائريين الى نهاية ق 19.(دراسة غير منشورة) ص 8.9.

*حول ابن أبي شنب أنظر : أبو القاسم سعد الله ،أبحاث و آراء في تاريخ.

إن تحقيق هدف الفرنسة مسألة سياسية بامتياز قبل أن تكون ثقافية ،ولا أدل على ذلك من الحرب السياسية المسلطة على اللغة العربية.[1]

كانت اللغة العربية تدرس في قسم اللغات الشرفية التابع لكلية الآداب في جامعة الجزائر لا يهتم بها سوى المستشرقين و المترجمين و طلبة اللغات الحية ،و يهدف قول المؤرخ "توفيق المدني" بأن اللغة العربية كان لا يقام لوجودها أي حساب.

شكلت مسألة الاعتبار للغة العربية و آدابها محاور النضال الطلابي في سنوات الأربعينات من خلال نشاطات Ugemaوlàuman ، ثم لاحقا المطالبة بتدريسها على نطاق واسع و الاعتراف بها لغة رسمية في أدبيات الحركة الوطنية.

د _ الجامعة و التوسع الاستعماري:قد يستغرب المتتبع للتاريخ التوسع الاستعماري ادراج هذه المسألة ضمن أهداف الدراسات الجامعية ، أو بعبارة أخرى يتساءل ماهي العلاقة بين الجامعة و التوسع الاستعماري خاصة و أن الجامعة أنشأت في وقت كانت فرنسا قد سيطرت على كل التراب الجزائري عسكريا؟

الواقع أن الاحتلال الكلي للجزائر لا يشكل الهدف الرئيسي للاستعمار فالهدف الأسمى منه الاستغلال الاقتصادي و المتوقع الاستراتيجي للسيطرة على كل منطقة شمال افريقيا و ربطها بالمستعمرات الفرنسية في افريقيا جنوب الصحراء ،و تشكل الصحراء المحور الأساسي لتحقيق ذلك.[2]

[1] أحمد توفيق المدني،جغرافية القطر الجزائري،ط2،مكتبة النهضة 1983م ص138

[2] يحي بوعزيز،ثورات الجزائر في القرن 20/19،دار البعث الجزائر 1980م،ص260

ظلت الصحراء الكبرى بشكل عام عالما مجهولا بالنسبة للأوروبيين عامة و الفرنسيين خاصة وفي ظل التنافس الاستعماري أصبحت قبلة للمستكشفين و المغامرين و المبشرين من مختلف الجنسيات الأوروبية بهدف توسيع نطاق التجارة الأوروبية في ظل التكالب على الصحراء.[1]

بعد اخضاع الفرنسيين للصحراء تحول اكتشافها العلمي الى مسألة اقتصادية و عسكرية و علمية في نفس الوقت و استعملت فرنسا أسلوب جديد .

ب_ الاستكشاف: اقترن هذا بمحاولة التعرف على امكانيات الصحراء الاقتصادية و البشرية و استغلالها.[2]

إن احتلال الصحراء لم يكن هو الغاية النهائية و بقيت المهمة التكميلية و هي الاستكشاف العلمي لها من خلال المستكشفين و المتخصصين و العلماء من جغرافيين و علماء الآثار و أطباء و غيرهم .

كانت المهمات العلمية ترسل الى الصحراء من خلال نشاط الجمعية الجغرافية أو الكلية العلوم و الآداب على مستوى جامعة الجزائر قبل انشاء معهد الأبحاث الصحراوية و الذي شكّل الوعاء العلمي و الاطار التنظيمي لهذه الأبحاث من خلال توثيق الأبحاث الصحراوية و تنظيم الرحلات الاستكشافية و التي كانت تطوعية من العلماء من مختلف التخصصات و منهم المبشرين و كانت بعثة Alalton من أولى البعثات العلمية الاستكشافية و التي لقيت مصرعها على يد التوارق عام 1881م و قد ضمت 150شخصا ثم قام

[1] _أحمد التوفيق المدني :جغرافية القطر الجزائر (مكتبة النهضة 1983م) ط2، ص138.

[2] يحي بو عزيز ، ثورات الجزائر في القرن 19.20 ، دار البعث الجزائر ،ص 260.

الأستاذ Enile gemil في أعوام 1895_ 1987_ 1899_ 1900برحلاته التي استهدفت التعرف على مصبات نهر الكونغو.[1]

و من أشهر الحملات نجد حملة "فورودلامي" في 1889_ 1900 و ذلك بتكليف من وزارة الأشغال العامة التي توجت بإبرام اتفاقية عام 1899م و لتقايم القارة مع بريطانيا.

خلال عمليات الكشف و الغزو اهتم الفرنسيون بدراسة الامكانيات الاقتصادية التي تتوفر عليها الصحراء و التعرف على المظاهر الجغرافية و الطبيعية و المناخية و على مصادر المياه و ثروة التمور و غيرها واشترك في هذه العمليات مهندسين و ضباط و علماء نبات و أطباء في عهد المدارس العليا و استمرت الأبحاث الى أن تم انشاء معهد مختص هو معهد الأبحاث الصحراوية عام 1937م.[2]

لا يسع المجال لذكر الأبحاث و مثلا درس الضابط "أوجيزا" الجوانب العلمية و الظواهر الطوبوغرافية لواحات الساورة ونوات وموريتانيا.

وتحدث "باجول" عن التكوين الجغرافي واهتم بدراسة الآبار المائية و الانتاج الفلاحي لمنطقة وادي ريع واهتم "داتانو" بدراسة الأرض و أنماط الانتاج و السكان.[3]

[1] يحي بوعزيز ،المرجع السابق ، ص 267.

[2] _ و من أمثال تلك البعثات بعثة الطبيب هوفمان رفقة المترجم اسماعيل بوضربة الى غدامس.

[3] _يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص268.

و على ضوء هذه الدراسات برزت أهمية الصحراء في الربط بين المستعمرات الفرنسية و شق خطوط السكة الحديدية لتنشيط التجارة الفرنسية في إفريقيا و ذلك منذ اقتراح "كاباني" مشروع خط حديدي يمتد بين الجزائر العاصمة و بو سعادة و ورقلة.

واصل معهد الدراسات الجغرافية مجهودات هؤلاء الباحثين المتعددي الاختصاصات لاكتشاف الصحراء و تنسيق الأبحاث المنجزة في الكليات الأربعة بجامعة الجزائر في مجال الدراسات الصحراوية لتسهيل استغلالها و ذلك من أجل اكتشاف خبايا الصحراء المعدنية و الطاقوية و كل تلك الأعمال صدرت في مجلدات بعنوان Les mncles Sahariennes مما شكّل تراكما معرفيا ضخما حول الصحراء يعكس الاهتمام الكبير بالصحراء التي ازدادت أهميتها باكتشاف البترول ومن ثم تمسك بها الاستعمار ،أكثر من خلال المفاوضات المفضية للاستقلال في إيفيان 1962م.[1]

3_ الأهداف الاقتصادية :

ارتبطت الحركة الاستعمارية بشكل عام بالاستغلال الاقتصادي للمواد الأولية الصناعية و الزراعية التي تزخر بها البلاد المستعمرة.

ولعل الجزائر احدى المستعمرات الفرنسية المعول عليها من جانب السلطات الفرنسية لتحقيق الثراء و الرخاء الاقتصادي .

[1] العكروت خميلي ، المرجع السابق ، ص 147.

كما هو معلوم ان مسالة استغلال الأرض عن طريق عمليات المصادرة المنظمة و الذهب عن طريق القوانين الجائزة كانت الأسلوب الأكثر استخداما للاستحواذ على الأراضي الخصبة.

و في البداية الأولى للاستيطان الأوروبي كان استغلال الأراضي المصادرة يتم بطرق شبه اقطاعية و ذلك بتسخير السكان من الأهالي في خدمتها عن طريق" الخماسة "و الاجارة و أعمال الصخرة لكن السؤال الذي يتبادر في أذهاننا هو ما علاقة التعليم العالي بالاستغلال الاقتصادي؟ سواء كان للأرض أو غيرها من الثروات.

الواقع أن المسألة في غاية الترابط فوجود المستوطنين الفرنسيين و الأوروبيين لم يكن وجودا سياسيا فقط بل كان وجودا ثقافيا و اقتصاديا ونتيجة لسياسة الجمهورية الثالثة الاستيطانية بلغ المستوطنون الفرنسيون في الجزائر أعلى درجات سلطتهم ونفوذهم و تأثيرهم خاصة الاقتصادي حيث بلغ عددهم591371 سنة 1901م و كانوا في هذه الفترة قد سيطروا على معظم الأراضي الصالحة للزراعة و أداروا دواليب الاقتصاد الجزائري.

إن هذه الأعداد الهائلة من المستوطنين المتعطشة للثراء لجئت الى التفكير في تحديد الامكانيات الفنية و المعارف الزراعية و تكوين الاطارات اللازمة لتحقيق تلك الغاية و بعد أن تمكنت من استيلاء على أخصب الأراضي شرعت في بناء منظومة الاستغلال.[1]

[1] _العكروت خميلي ،المرجع نفسه ،ص 140.

إن مشاريع الاستيطان و تخطيط المدن والقرى الأوروبية و بناء الجسور و حفر الأنفاق و مد طرق المواصلات خاصة السكك الحديدية ، و تطوير نظم البريد و المؤسسات المالية تتطلب كفاءات متخصصة لتحقيق الاستيطان الحضاري في مختلف المدن الكبرى لذلك كانت مسالة انشاء معاهد متخصصة ضرورية .

و من جهتها شجعت الادارة الاستعمارية المستوطنين سعيا منها الى جعل البلاد في خدمة الاقتصاد الفرنسي عن طريق اقامة البناءات التحتية الضرورية .

تحولت الجزائر مطلع القرن العشرين الى ورشة حقيقية لمختلف النشاطات الصناعية و الزراعية و خاض المستوطنون تجربة صناعة الكروم و زراعتها في الجزائر مغتنمين فرصة هلاك الكروم الفرنسية ساعدت مصلحة الاستعلام الفلاحي المنشأة على مستوى مدرسة العلوم في إنجاح هذه التجربة التي عرفت أوجها (1908_1909م) و كما حاول المستوطنون تجريب زراعة الحبوب في الجنوب.[1]

لاقت الخمور الجزائرية رواجا كبيرا في الاسواق الفرنسية حيث تم الاعتراف بجودتها و نوعيتها الممتازة بفضل مجهودات مخابر الكيمياء العامة و الكيمياء الصناعية في كلية العلوم و بالتعاون مع المصالح الفلاحية كانت كلية العلوم أيضا تقدم دروسا عامة في الكهرباء العامة للعمارات و الكهرباء الصناعية كما نشطت مخابر الكيمياء الصناعية و الكيمياء العامة في تطوير الصناعات الغذائية التي تعتمد على الانتاج المحلي فقد تم تحسين أنواع الزيوت و الخمور و غيرها من المنتجات.

[1] العكروت خميلي ،المرجع نفسه ،ص142

كان لمدرسة العلوم ثم لكلية العلوم الدور الكبير في إضفاء الطابع التطبيقي على الدراسات و كذلك توجيهها توجيها محليا كالدراسة الجيولوجية للجزائر، و دراسة علم النبات الشمال إفريقية و إمكانية استغلاله في الصناعة الصيدلانية و صناعة العطور ثم صناعة الورق عن طريق استغلال الحلفاء.[1]

4 _ الأهداف الثقافية:

يمكن القول بأن انشاء جامعة فرنسية في الجزائر لم يكن لصالح أبناء البلد الأصليين من الأهالي ، بل علمنا مسبقا بأن الهدف الأساسي هو منع الهجرة في الاتجاه المعاكس بمعنى الخوف على أبناء المعمرين من الهجرة بغرض التعليم نحو الوطن الأم ثم عدم العودة.

و الواقع أن انجاز مؤسسة ثقافية بحجم جامعة الجزائر و ما لها من دور في نشر الثقافة و العلوم ،وكذلك توجيه تلك العلوم خاصة في المسائل المتعلقة بتبرير الوجود الاستعماري و مسألة الرسالة الحضارية المزعومة يجعلنا نتساءل حول المجالات العلمية و الأدبية التي خدمت الاستعمار و عملت على ترسيخ أطروحاته كذلك عملت انهاء الهزيمة و الأفكار التخديرية و الشعور بالدونية لدى السكان الأصليين ،و أصحاب الأرضي المدعوين للدفاع عنها كل ذلك تم من خلال هدم المؤسسات الأصلية التي تعمل على اشعاع العناصر المميزة لهوية الأمة من لغة و دين و انتماء حضاري و ثقافي و الإغراق في تشويهها ، و على هذا الأساس اخترنا إتباع منهج بعض الدراسات في العلوم الاجتماعية و الانسانية و الآداب على مستوى

[1] _العكروت خميلي ،المرجع نفسه ، ص 149.

جامعة الجزائر في الفترة الاستعمارية للتعرف على الخط الذي سارت عليه ومدى خدمتها للأهداف الاستعمارية في شقها الثقافي :

أ_ منهج الفرنسيين في الدراسات التاريخية المتعلقة بالجزائر:

بدأت هذه الدراسات في وقت مبكر من الاحتلال الفرنسي للجزائر و قد نشطت "الجمعية التاريخية الجزائرية".[1] منذ وقت مبكر لإدخال النظم الفرنسية و كذلك المناهج على الدراسات التاريخية و علم الآثار فقد استفاد عالم الآثار "شيافي" من رخصة التنقيب عن الآثار من قيادة الجيش الفرنسي منذ 1831م .[2] ثم اندفعت الجان، و الجمعيات و الضباط في البحث في مختلف مجالات التاريخ بغية "اكتشاف الجزائر العلمي" الفكرة التي تبنتها وزارة التربية وكذلك الصحف التي أخذت تهتم بتاريخ الجزائر مثل "المبشر " و "الأحبار" و كذلك جمعية قسنطينة للآثار منذ 1852م .

كتب الفرنسيون تاريخ الجزائر من منطلق كونهم المسيحين المتحضرين، الذين حكموا شعبا مسلما بدافع التعرف على مختلف الجوانب الاجتماعية التاريخية و الثقافية التي تحكم هذا الشعب ، بوصفه شعبا مهزوما، خاصة و أن الفرنسيين كانوا مزودين بوسائل العصر من طباعة و صحف و مستشرقين ومترجمين.

أملت دوافع السيطرة و الاحتلال على الفرنسيين معرفة تاريخ الجزائر و بيئتها البشرية و عادات سكانها دون الاستغناء عن فكرة الأفضلية و التفوق التي سادت الفكر الاستعماري .

[1] _ظهرت هذه الجمعية عام 1856م في الجزائر برئاسة بيار بروجيرو و يعود لها الفضل في اصدار المجلة الإفريقية .

[2] _أبو القاسم سعد الله: أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ،1978م ،ص 13.

هذه الفكرة على أساسها تقوم رسالة الرجل الأبيض دون التخلص من الروح الصليبية التي طبعت أعمال الكثير منهم خاصة المستشرقين.

انبرى تاريخ الجزائر في السنوات الأولى للاحتلال عدد المهتمين بالتاريخ من العسكريين : مثال "كارين" و"هانوتو" و غيرهم و جاءت أعمالهم اخبارية نظرا لطبيعة المصادر التي اعتمدوا عليها و كذلك ضعف تخصصهم .

و بتأسيس جامعة الجزائر بدأ عهد جديد من كتابة تاريخ الجزائر عند الفرنسيين بتكاتف جهود أساتذة الجامعة مع جهود الجمعيات التاريخية و الأثرية و بتوسع الاحتلال الفرنسي ليشمل كل الشمال الإفريقي ، أصبحت الكتابات التاريخية الأكاديمية تعنى بتاريخ شمال إفريقيا بشكل عام.[1]

و فتحت كلية الآداب في جامعة الجزائر مقاعد تاريخ شمال إفريقيا و المغرب العربي و التي شغلها Masquray و كذلك Dout _ Rene basszt في مجالات التاريخ القديم و الدراسات اللغوية و اللهجات ، و الأبحاث الاجتماعية ثم في فترات لاحقة نجد "بصرت مارسل "و"غزافي باكونو" و الذين اهتموا بالتاريخ الاستعماري و تاريخ إفريقيا الشمالية الفرنسية.[2]

شكّل الاستشراق أيضا جانبا هاما من اهتمامات كلية الآداب فنستطيع القول أن كلية الآداب كانت ترعى الدراسات الاستشراقية ،ولا أحد يستطيع أن ينكر الدور الكبير الذي لعبه الاستشراق في تزويد الجيوش

[1] _ أبو اقاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص 18.24.

[2] _العكروت خميلي ، المرجع السابق ، ص 152.

بالمعلومات الأولية حول طبيعة الشعوب المستعمرة ،و كذلك تحديد طبيعة النظرة الأوروبية الى الشرق عامة و نظرة فرنسا الخاصة الى الشعوب في مستعمرتها .

وذلك من خلال تجنيد هؤلاء المستشرقين ليكونوا دعائم مخططاته و أدوات تنفيذ سياسته المختلفة من خلال الترويج لأفكار خاطئة عن التاريخ و الدين الاسلامي و لذلك لم تدخل الحكومات والهيئات الاستعمارية في مد يد العون للمستشرقين ، فجامعة الجزائر و كليتها للعلوم كانت مسرحا للمؤتمر الرابع عشر للمستشرقين عام 1904م .

إن الدور الذي لعبه المؤرخون في خدمة الاستعمار من حيث تزويده بالمعلومات حول البنية التحتية البشرية لشمال إفريقيا و تاريخه وكذلك التأريخ له و ترويج الأطروحات تخدم مصالحه مثل إحياء التاريخ القديم و أمجاد الرومان و الشعوب الفاتحة و إهمال فترة الاسلامية دليل على الارتباط الكبير بالاستعمار من خلال التشكيك في التاريخ المحلي ، و صحة أخبار العرب مثلما فعل "ستيفان غزال" حول الفترة العثمانية و أخبار الفتح الاسلامي .

و من زاوية الاستشراق لا التاريخ اهتم بعض المستشرقين: أمثال "ماسي" الأب ثم الابن بالدراسات العربية في التاريخ و بعض المؤلفات التي تناولت تاريخ المنطقة ، حيث تم الاعتماد على مترجمين محليين ، و أساتذة اللغة العربية و الآداب الشرقية مثل: ابن أبي شنب و اسماعيل حامت و غيرهم لترجمة أعمال تاريخية محلية و كذلك لبعض الفقه و النحو و الأصول مثل: صحيح البخاري و الأربعين النووية و غيرها.[1]

[1] _أبو القاسم سعد الله ، الرجع السابق ،ص 18.24.

و في هذا الصدد يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله "إن زاوية اهتمام هؤلاء المستشرقين و المؤرخين بالأدباء المحلية و التاريخ المغاربي و منابع الثقافة المحلية بشكل عام لم يكن إلا من زاوية تطبيق مناهج التاريخ على تلك الدراسات ، و م ثم تصنيف التراث الاسلامي ضمن الميثولوجيا المحلية ،أو الثقافات البائدة.

بمعنى وقوفهم موقفا مشبوها من الاسلام واعتبروه نوعا من التقاليد الموروثة و كذلك اعتبروا معظم الفتح الاسلامي غزوا و ركّزوا على أحداث معينة لزرع التفرقة بين سكان شمال إفريقيا الذين وحّدهم الاسلام مع تشويه الرموز الوطنية من شخصيات فذه باعتبارهم متعصبين و برابرة.[1]

و إذا كانت معظم الدراسات التاريخية و الاستشراقية و دراسات علم الاجتماع تمتاز بالانحياز لإرادة الاستعمار فقد كان لها أثر إيجابي من حيث بناء قاعدة مصادر تاريخية و أثرية هامة و حفظها في المكتبات و المتاحف ، أمكن الجزائريين الاستفادة منها فيما بعد .

كما أن استخدام المناهج المعاصرة سهّل مهمة الوصول إليها من طرف الباحثين المعاصرين ، إذ تعتبر المصادر الفرنسية و المجلات و الدوريات المتنوعة أهمها مصادر الكتابة التاريخية الى اليوم "المجلة الافريقية".

كان الهدف وراء تناول تاريخ الجزائر بهذا الشكل هو القضاء على الاعتزاز لدى الجزائريين بتاريخه وطمسه و زرع التشكيك و بالتالي زعزعة أركان الشخصية الجزائرية ، المنعوتة بالانتماء الى جنس منحط بدائي ،وذلك ما سار عليه نهج العلوم الاجتماعية و علم الأجناس و علم النفس و غيرها.

ب_ منهج الفرنسيين في دراسة علم النفس و الاجتماع:

[1] _أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص 34.

كانت دراسة علم النفس في جامعة الجزائر تضع الانسان الجزائري الذي تسميه انديجان شمال إفريقيا في منزلة متوسطة بين الانسان البدائي و نموذج الانسان الشرقي المتطور.

و كانت أطروحاتهم تتمحور حول فقدانه للذكاء و الفضول العلمي ،و كذلك للشخصية و ذلك وفق دراسات أجراها الأستاذ:(1876_1965) Antome Porot واضع أسس النظرية البدائية كمن يصفهم بالأهالي الشمال إفريقيين ، و هو واضع أسس مدرسة علم النفس الاستعمارية في الجزائر القائمة على اعتبار الانسان الجزائري مختل التكوين العصبي و الدماغي .

و محاولة اثبات ذلك عن طريق دراسة العقلية الجزائرية بشكل استثنائي و ذلك ما يتوافق و العقلية الاستعمارية المبنية على أساس الاستعلاء و التغلب و إثبات ذلك تاريخيا.[1]

سارت مدرسة علم النفس على خطى "أنطوان بورو" و الذي أنشأ عام 1938م مستشفى الأمراض العقلية Joine ville بالبليدة.

عارض الطبيب النفساني "Frantz fanon " هذا التوجه بشدة لما تم تعيينه عام 1953م طبيب رئيسي في مستشفى البليدة فحارب البدائية التي كان يقوم أساسها علم النفس الكولولوثيالي في الجزائر .

أرجع "فراس فانون " تلك الاضطرابات التي تظهر على بعض الجزائريين الخاضعين للتطبيب النفسي الى الوضعية الاستعمارية ، والى مراحل إلغاء الشخصية التي تعرّض لها الشعب الجزائري ، و اعتبر تلك النظرية

[1] العكروت خميلي ، المرجع السابق ، ص155

المنحازة لتفوق الرجل الأبيض عنصرية بيولوجية تحولت الى عنصرية ثقافية تتغذى من النظرة الاستعمارية المبنية على الاستغلال.[1]

د_ الجامعة و مسألة الهوية الثقافية عند الجزائريين الملتحقين بها:

سبق و أن تناولنا في سياق عرّضنا للأهداف السياسية الفرنسية و مكانة اللغة العربية من الدراسات بوصف الفرنسة وقضية سياسية سخرت لها الآلية القانونية و الادارية و منظومة التعليم في مختلف مراحلها لإضفاء الطابع الفرنسي على الجزائر المستعمرة.

اما تم الفصل في مسألة اللغة العربية و مكانتها و تم اعتبارها لغة أجنبية بقوة القوانين الاستعمارية بل و أكثر من ذلك تقسيمها الى لهجات و دارجه عربية أكاديمية و قد أهملت.

و لولا المدارس الخاصة و مجهودات الحركة الاصلاحية ، و حفظ القرآن لضاعت و أصبحت غربية فعلا، و بذلك لم تكن الجامعة فضاء للصرعات الثقافية بذلك القدر الذي شهدته المؤسسات الثقافية الأهلية من استمالة في مواجهة الثقافة الغازية ما خلا بعض المحاولات الفردية للدفاع عن مقومات الأمة.[2]

إن الاستعمار قبل أن يفكر في انجاز مؤسساته الثقافية البديلة و المواجهة للعنصر الأوروبي ، و بعض الجزائريين من المتجنسين أو أبناء الخيم الكبرى كان يحاول القضاء على الثقافة الجزائرية عندما قطع عنها

[1] _ العكروت خميلي ، المرجع السابق ، ص155.

[2] _ أنظر مالك بن نبي : الصراع الفكري في البلاد المستعمرة .دار الفكر . دمشق. بدون تاريخ بدون نشر.

جميع الروافد التي كانت تنميها بل و حاول أن يوهم الناس بأن التراث الثقافي المحلي غير موجود أوقد محللعن كنتيجة طبيعية لضعفه.[1]

و قد تنج عن ذلك أن ظهر مركب النقص لدى الشباب المحروم من ثقافته و ظهر ذلك في صور مختلفة تأرجحت بين التشكيك و الاغتراب و الاستيلاب *بين كثير ممن خرج من المؤسسات التعليمية الفرنسية ، بفضل تلقيه عادات جديدة في التفكير و الذوق و السلوك.[2]

خلاصة:

وفي الأخير نستنتج أن انشاء الجامعة هو من أهداف الاستعمار و ذلك من أجل تغيير التركيبة الاجتماعية و السيطرة عليه و ذلك من خلال التراكيب مسطرة كما ادّعت فرنسا بأنها أنشأت الجامعة من أجل تطوير هذا الشعب و تحضيره و تطوير المجال العلمي ، قد أثبت زيفه و كذبه و أنه مجرد وسيلة لإحكام السيطرة على العقول و استعمارها بعد أن سيطر على الأرض من خلال جعل الجامعة في خدمة الأهداف الاستعمار.

[1] _أحمد طالب الابراهيمي ، من تصفية الاستعمار الى الثورة الثقافية .ترجمة حنفي بن عيسى .الشركة الوطنية للنشر و التوزيع.الجزائر. ص 15.

*الاغتراب و الاستيلاب من الظواهر الثقافية السلبية الناتجة عن عملية المثاقفة.

[2] _ أحمد طالب الابراهيمي ، المرجع السابق ، ص16.

الفصل الثاني

إصلاحات فرنسا في الجامعة وأثرها على المجتمع الجزائري:

المبحث الأول: هياكل ومرافق الجامعة.

المبحث الثاني: إصلاحات جامعة الجزائر.

المبحث الثالث: آثار الجامعة على المجتمع الجزائري.

المبحث الرابع: ردود الفعل على جامعة الجزائر.

المبحث الأول: هياكل و مرافق جامعة الجزائر:

1_ أ_ المكتبة الجامعية:

يرجع إنشاء المكتبة الجامعية إلى سنة 1880م حيث تأسست أربع مدارس عليا في الجزائر هي: كليات الآداب و الحقوق و العلوم و الطب ، و كانت مدرسة الطب قد ظهرت منذ الخمسينات فكان لها مكتبتها الخاصة و منشوراتها و أساتذتها، لكن سنة 1880م شهدت ميلاد المدارس العليا الثلاث إضافة إلى مدرسة الطب لتكون جميعا هي الكليات التي انبنت عليها جامعة الجزائر سنة1909م فقد كان للمكتبة الجامعية ميزاتها الخاصة سواء في قانون إنشاء المدارس سنة 1879م أو في قانون إنشاء الكليات سنة 1909م .و من الطبيعي أن تظهر المكتبة الجامعية صغيرة و أن تنمو بالتدريج كما كان من الطبيعي أن تنتقل من مكان لآخر إلى أن تستقر حيث هي الآن وسط مباني جامعة الجزائر في قلب العاصمة. وكان قد شرع في بناء المكان سنة 1884م ، ثم انتقلت إليه بعد أربع سنوات (1880م) و قد تولى إدارتها مديرون فرنسيون أولهم "بيرسون" Pierson الذي لم يبق فيها أكثر من عام ، و لكن المدير الذي طال عهده هو "لويس باولي" Paoli (1884_1925) و كان عدد الموظفين في المكتبة قليلا فلم يكن فيها سنة 1906م سوى اثنين: مكتبي و عامل قاعة ، و بين 1909م و 1921م كان فيها مكتبي و ثلاثة عمال قاعة ، ثم كان عدد الموظفين فيها نظرا لتوسع الجامعة و إنشاء المعاهد التابعة لها و زيادة عدد طلابها ابتداءً من سنة 1925م ، فكان عدد موظفيها سنة 1958م ثمانية و عشرين شخصا (28)[1] .أما المدير الذي خلف

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي1954،1830،ج5،ص351-352

"باولي" سنة 1925م فهو "لويس جيول" Gionles الذي توفي سنة 1927م ثم تبادلت عليها الأيدي إلى سنة 1932م حيث تولاها "مارسل كولبير"M.Koelber الذي ظل فيها إلى الخمسينات.[1]

و ممّا كان تشكو منه المكتبة هو ضيق المكان على الكتب و المطالعين، فقد بنيت القاعة لاستقبال عدد ضئيل من القراء ، حوالي أربعين . و لكنها أصبحت سنة 1923م تستقبل 120. فكانت كل التقارير تشير إلى ضيق القاعة و مخازن الكتب و انعدام الجهة التي يمكن أن تتوسع فيها المكتبة ، أما بالنسبة للأساتذة فلم يكن لهم في المكتبة كلها سوى منضدة (طاولة) واحدة بأربعة كراسي وسط قاعة المطالعة العمومية ، و لكن منذ 1930م أخذ وضع المكتبة يتحسن من حيث السعة حيث تركت بعض الكليات قاعات كانت تحتلها بالمبنى فاستفادت المكتبة منها .

كانت المكتبة تضم سنة 1880م (40000) مجلد منها (17900) كتاب عادي و مجلة، و (22410) من الأطروحات الجامعية والكتب الأكاديمية، وفي ظرف قصير نسبيا نمت إلى (179680) كتاب، وذلك سنة 1909_1910م و هي الفترة التي ولدت فيها الجامعة . و من ذلك المجموع (54877) مجلدا عاديا و مجلة ، (124803) من الأطروحات الجامعية و البحوث الأكاديمية. وخلال عشر سنوات أصبحت المكتبة تضم (233394) مجلدا و في سنة 1938_1939م كان فيها (352307) مجلدا أما سنة 1957_1958م فقد كان فيها (486361) مجلدا ، حوالي نصفها (243591) من الأطروحات

و البحوث الأكاديمية، وكان مجموع ما تملكه سنة 1958م من المجلات و الدوريات الأجنبية (630) مجلة دورية.

[1] _أبو القاسم سعد الله، ، المرجع السابق ، ص 351.362.

و كان لمكتبة الجامعة نظام خاص بالإعارة الداخلية و الإعارة الخارجية و كانت الإعارة في تزايد مستمر.

و قد كان قراؤها أيضا يتزايدون على النحو التالي:

_ 1909م كان عددهم (11265) و في سنة 1929م كانوا (18088) و في سنة 1958م بلغوا (72803) هذا مع العلم أن طلاب الجامعة في هذه السنة لا يزيدون عن (5000) طالب، وكانت أوقات المكتبة تساير فتح الجامعة ونظام الدراسة فيها، فإلى سنة 1943م كانت أوقات فتح المكتبة لا تتجاوز 6 ساعات يوميا[1] ، وهي مقسمة على فترتين صباحا ومساء دون توقف، لكن منذ ديسمبر 1943م أصبحت المكتبة تفتح من الساعة الثامنة والنصف صباحا إلى السادسة والنصف مساء دون توقف.

و المعروف أن محتويات المكتبة قد تضررت كثيرا بفعل الحريق الذي تعرضت له سنة 1962م حيث عمدت (منظمة الجيش السري) الإرهابية إلى إضرام النيران في المكتبة، وفق مخططها الرامي إلى منع الجزائر من الوصول إلى استقلال، ولا يعرف بالتدقيق عدد المجلات والدوريات والوثائق التي تلفت تماما أو تلفت جزئيا.

و بالإضافة إلى المكتبة العامة والجامعية أنشأ أصحاب الكنائس مكتبات في تخصصهم لجلب القراء من أصحاب المذاهب الأخرى بمن فيهم المسلمون .

[1] _أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ،ص 352.353.

فكان للكاثوليك الذين يمثلون غالبية الفرنسيين مكتباتهم سواء كانت تابعة للأسقفية المركزية أوالتابعة لفروعها ومراكزها،كما كان بروتستانت الكنيسة و تطورها ،وحسب هذه الإشارة إليها. لقد كان المنصّرون يتنافسون على تنصير الجزائريين من جهة كما كانوا يتنافسون فيما بينهم على نشر مذاهبهم بين المسحيين .

و كان الإنجليز قد فتحوا مكتبتهم بالعاصمة سنة 1864م ،و فيها كتب بالإنجليزية موجهة إلى السواح،

وكانت الكتب تقدم إلى المكتبة من قبل الجمعيات الدينية وغيرها في بريطانيا. وكانت السيدة "روجرز" قد جاءت إلى الجزائر في مهمة دينية وجاءت معها بصندوق من الكتب وأهدته إلى المكتبة عن طريق القنصل.و عند افتتاح المكتبة كانت تضم حوالي سبعين كتابا فقط، ولا شك أنها نمت بعد ذلك.

و كانت تتبع الجمعية الاستعمارية والقارية وتديرها لجنة يشرف عليها القنصل ونائبه وقد أطالت السيدة "روجرز" في وصف هذه المكتبة في الجزائر.[1]

1_ ب_ المكتبة الجامعية:

أنشئت هذه المكتبة وفق قانون 20ديسمبر 1879م .غير أن مدرسة الطب التحضيرية كانت تحتوي على مكتبة وطنية منذ 1867م تاريخ إنشائها .

أصبح للمدارس رصيدا لمكتبة مشتركة بتحويلها إلى جامعة وفق قانون 30ديسمبر 1909م وكانت هذه المكتبة قد استقرت في العمارة الرئيسية للجامعة منذ 28 جانفي 1888م .و تعتبر مجهود السيد "Luis Paoli "

[1] _أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ص 353.354.

الأكثر أهمية من بين الذين تداولوا على تسييرها .و ذلك بالنظر لفترة مكوثها الطويل بها (من 1 ديسمبر 1884م الى 30 ديسمبر 1925م) .

كانت المكتبة حال إنشائها حسب ما ورد في تقرير Paoli 1906م ، تضمن الحد الأدنى من الخدمة إذ لم تكن تضم إلى غاية 1925م سوى مكتبي رئيسي ومكتبي و04 أعوان قاعة، وقد تطورت المكتبة كثيرا منذ إنشائها و إلى غاية تعرضها لحادث الحرق في 07 جوان 1962م .فساعة إنشائها لم تكن تضم سوى (40000) كتاب ووصلت في الموسم (1967_1958م)إلى رصيد قدّر بـ (486361) كتاب.

و كانت تستقبل حوالي (1275) من الدوريات والمجلات العلمية المتخصصة سنويا، وهذا ما يدل على ثرائها العلمي في كل الاختصاصات هذا من الناحية الكمية.

أمّا من حيث موقعها ورغم تعرضها لترتيبات كثيرة وتنقيلات لمحتوياتها بين بنايات الجامعة فإن موقعها ظلّ ثابتا في وسط العمارة الرئيسية للجامعة إلى الآن.

و بالإضافة للمكتبة الجامعية كان بإمكان الطلبة التردد على المكتبة الوطنية المنشأة منذ 1835م، بقرار من الوزارة الحربية، إلى غاية 1948م أين تحولت إلى وزارة التربية .[1]

بقيت المكتبة في منزل الداي منذ 1863م في شارع قيادة الأركان قبل أن تنقل البناية العصرية في (الطغارة) من تصميم المهندس Toubarel .و الذي شرع في إنجازها يوم 10أفريل 1964م ، وفتحت أبوابها للجمهور يوم 12 ماي 1958م.

[1] العكروت خميلي ،المرجع السابق،ص79

شكّلت حادثة إحراق المكتبة الجامعية في07 جوان 1962م نهارا عملا بربريا يضرب الأكذوبة المهمة الحضارية في العمق.[1]

كما شكّل إهدار جهد علمي كبير. لم تشأ الأيدي الحاقدة أن تتركه كقضية علمية لأبناء الوطن، يوظفونه لبناء الجزائر المستقلة، و هذا العمل الشنيع يعتبر جريمة ضد الإنسانية بوصفه محو للذاكرة الجامعية (المدانة دوليا).

2_ منزل استقبال الطلبة (La Robersan) :

يعتبر هذا المنزل (فيلا و ثلاث عمارات) ملاذ العدد الكبير من الطلاب الذين لا يملكون إمكانية إيجار غرفة جامعية ،والذين كانوا مجبرين على الإقامة في فنادق رخيصة أو الحمامات و بالتالي خصصت هذه الإقامة منذ 19 نوفمبر 1948م لإيواء الطلبة الفقراء خاصة المسلمين بسبب غلاء الإيجار . و ذلك بمساعدة عميد الجامعة (Gau) ومجموعة من الشخصيات والجمعيات أهمها جمعية بيت الطلبة المرؤوسة من طرف عميد الأكاديمية في الجزائر.

كانت هذه الإقامة تضم حوالي 68 غرفة وعدد من الأسرة ، وفتحت مطعم ووسّعته سنة 1951م باستحداث93 غرفة جديدة وملعب ومكتبة إلا أنها ظلت مكتظة ولا تؤوي سوى الطلاب الفقراء.

[1] _العكروت خميلي ،المرجع السابق ، ص 79.

3_ الإقامة الجامعية بن عكنون:وصفها الطالب الإبراهيمي بالرائحة في مذكراته ، وقد خصصت للطلبة القادمين من جنسيات مختلفة أوروبية وعربية المسجلين في جامعة الجزائر ،ولقد كانت مأوى للطلاب الميسورين ماديا دون غيرهم ، بسبب غلاء الإيجار بها.

أنشئت هذه الإقامة بسبب شكوى الطلبة من غلاء الإيجار ،وعرض مجسم لهذه الإقامة في مؤتمر دولي للإقامات الجامعية بباريس في 19 جويلية 1950 قبل الشروع في إنجازها .

تم اختيار بن عكنون في بلدية الأبيار آنذاك لتكون مقرا لهذه الإقامة لاستيفائها الشروط الضرورية.وفي نوفمبر1960م تمّ المصادقة على المشروع ، وبدأت الأشغال بإنجاز عمارتين ب 108 غرفة. وبدأت الإقامة تتوسع بين سنوات (1954_1958م) لتصبح مرفقا طلابيا فخما يحتوي على كل المتطلبات

و أكثر من ذلك تحفة فنية حيث قام النحاة Carmon Krack بتزيين الواجهة رفقة Damboise و كذلك الرسام Ernaz و عامل السيراميك Blasale.

لم يكن إنجاز هذه الإقامة بالعمل الهين ، فقد جاءت هذه الإقامة كنتيجة لمجهودات جمعية خاصة أنشئت عام 1946م ، برئاسة السيدة Charlez rolin التي تولت رئاسة الإقامة حال افتتاحها.[1]

[1] _العكروت خميلي ، المرجع السابق ، ص 80.

خاتمة:

يمكن القول بأن إنشاء المكتبة في الجامعة هو جزء من الأهداف الاستعمارية من أجل السيطرة على عقول الطلبة و ادّعت بأنّها أنشأت المكتبة من أجل تطوير المجال الثقافي و الحضارة.

و تم اكتشاف أمرها و تأكد زيف تلك الادعاءات في حادثة إحراق المكتبة الجامعية يوم 07 جوان 1962م نهارا عملا بربريا يضرب أكذوبة المهمة الحضارية في العمق و جاء ذلك من طرف أعداء الحضارة التي أتت على جهد سنين من عمل الباحثين و العلماء في مختلف المجالات ومحاولة الحيلولة دون أن يستغلها الجزائريون.

المبحث الثاني: إصلاحات جامعة الجزائر

يوصف القرن العشرين بأنه قرن الحماس القومي وكذلك قرن الازدهار العلمي والتقني أين أصبح العلم هو المسير لمختلف مناحي الحياة حتى السياسة منها لما أصبحت حركة الأفكار والعلوم أكثر سرعة وانتشارا بسبب ازدهار وسائل الاتصال وانتشار وسائل الطباعة وغيرها .

في ظل هذا التطور الكبير عرفت النخبة المثقفة أين تقود شعوبها إلى الازدهار والرقي إذ عرفت كيف تقرر مستقبل شعوبها وتعمل على إحداث النهضة الملائمة لطبيعتها وفق مقوماتها الحضارية وإمكانياتها .

والمعلوم أن حملة الشهادات وفئة الطلبة من العناصر الأساسية لفئة النخبة المدعوة للعب الدور الريادي في حياة شعوبها، فما هو حال الجزائريين من ذلك؟

المتتبع للنهضة الجزائرية مطلع القرن العشرين يلاحظ اللمسات والآثار الدّالة على وجود نخبة قيد التّكوين تحمل على صقل توجه الحركة الوطنية إلى نحو نشأة الحركات المطالبة التي تطالب بتحسين الظروف في ظل السيطرة الاستعمارية المضروبة على مختلف مناحي الحياة بخطى بطيئة.[1]

إننا بصدد الحديث عن ماض أكيد إذ لا مجال للحديث عن التوقعات والاستشراف وبذلك لا يمكن الحديث عن دور سياسي للنخبة من حملة الشهادات والمطالبة قبل ظهور التنظيمات السياسية بين الحربين العالميتين وبالتالي سنسلك طريقتين ،فالطريق الأول هو تتبع نشاط الطلبة وحملة الشهادات بشكل عام في

[1] العكروت خميلي،المرجع السابق،ص120

نشاط الحركة الطلابية والحركة الوطنية ،والثاني هو تتبع الاتجاهات المختلفة للطلبة على مستوى الأفراد واتجاهاته الإيديولوجية .

امتهان السياسة في ظل تلك الظروف الاستعمارية كانت تعتبر مجازفة حقيقية بالنفس، ماعدا بعض المطالب التي كان يرفعها الأعيان للسلطات الاستعمارية على شكل عرائض ورسائل.

أحداث مطلع القرن العشرين المعادية لليهود والتي حدثت في المدارس العليا أساسا [1] أوحت إلى السلطات الاستعمارية طريقة جديدة في كبح المطامع الانفصالية للجالية الأوروبية المقيمة في الجزائر .

والتي أخذت قوتها تنمو بفضل سيطرتها على الخيرات الاقتصادية للجزائر وكذلك على الشعب الجزائري.

حاولت الإدارة الاستعمارية في عهد الحاكم العام Jules cambon ثم في العهد الحاكم العام Charle jonnart تعديل موازين القوى بخلق فئة من النخبة العصرية أو استدراج تلك الموجودة لتكون أهم ركيزة من ركائز السيادة الاستعمارية في الجزائر أمكن لها ذلك بمحاولة بعث القليل من الثقافة العربية الإسلامية وكذا إنعاش التعليم الفرنسي في الجزائر الطرف عن نشاط المدارس الحرة .

كان Jonnartيعني تماما ما يفعل وفي هذه العهدة عرفت الحركة الثقافية نقلة في الجزائر، حتى بدا الأمر وكأنه نهضة جزائرية حقيقية تخرج إلى النور .

[1] في شهر جانفي1898لبى طلبة مدرسة الجزائر نداء طلبة الحقوق max négio،الداعي لتطلع مظاهرة معادية اليهود، ينظر غي بارفلي ،النخبة الجزائرية الفرنكفونية

إن من نتائج تلك الظروف ميلاد ما اصطلح على تسميته "حركة شبان الجزائريين" التي قادت الحركات الطلابية في ظل الاستعمار إلى غاية تبلور المطالب الوطنية أو ظهور الاتجاه الاستقلالي في الحركة الوطنية.

وقد ظهرت هذه الحركة للوجود بفضل نشاط نخبة من حملة الشهادات الجامعية وكذلك نخبة من المثقفين المتعدي المشارب، والتي تجلى نشاطها في بيان الشبان الجزائريين سنة1912م والذي طالب بالمساواة في الخدمة العسكرية مقابل إحلال المساواة في الجباية والتعليم وبتمثيل لائق في المجالس الجزائرية والبرلمان الفرنسي مع الدعوة لإلغاء قانون الأهالي.[1]

يذكر Ageron أن عدد حملة الشهادات آنذاك لم يتجاوز 25 وعلى رأسهم عمر بوضياف والطيب بلقاسم بن تامي والأستاذ مختار حاج سعيد والدكتور موسى بن شنوف ومحمد ين رحال وكذا النقيب خالد حفيد الأمير عبد القادر وهو خريج المدرسة العسكرية Saint cyالممنوعة على الأهالي والمترجم إسماعيل هامت والدكتور بن علي فطار وشريف بن حبيلس والمحامي طالب عبد السلام ،رغم أن معظم هؤلاء من المتجنسين الإندماجيين.

يفسر هذا النشاط للمتجنسين بفهم هؤلاء للدور المنوط بهم بالنسبة للإدارة الاستعمارية وكذلك لأهداف متعلقة بالانتخابات في المجالس الأهلية في الأجواء التي عاصرت الحرب العالمية الأولى.

[1] العكروت خميلي المرجع السابق، ص123

لم تكن مشاركة النخبة الجامعية كبيرة إلى جانب فرنسا فعددهم لم يكن يتجاوز حدود 100 من مجموعة تصل إلى ألف حسب الأرقام التي أوردها G.mynion[1] المسندة لتقرير الحاكم العام Lutand سنة1917م.

تجلى ثمار هذه الحركة المطلبية في إصلاحات مارس 1919م بتوسع الهيئة الناخبة على مستوى الأهالي إلى 400000 ناخب في المجالس البلدية، و100000 ناخب في المندوبيات المالية والمجالس العامة.

وكذا رفع تمثيل الأهالي إلى ¼ من أعضاء المجالس العامة و1/3 من أعضاء المجالس البلدية. وبعض الامتيازات في مجال التوظيف باستثناء وظائف السيادة.

لم تتخل الإدارة الاستعمارية عن سياسة الإدماج التدريجي لفئة النخبة لذلك بسطت إجراءات التجنيس أمام هؤلاء في محاولة منها لخلق حياة سياسية خاصة بالجزائريين بقيادة هذه النخبة من المتجنسين.

لا أحد من المتجنسين أو النخبة كان قادرا على تقديم مطالب وطنية حقيقية ضد السياسة الاستعمارية ماعدا رسالة المير خالد إلى الرئيس الأمريكي والسن سنة 1919م حيث طلب منه تمكين الشعب الجزائري من تقرير مصيره .

المتجنسون والسابحون في فلك الإدماج كانوا من أشد أعداء الأمير خالد بإيعاز من الإدارة الاستعمارية.

قرر هؤلاء وفي الإطار الاستعماري الفرنسي تشكيل تنظيم سمي بـ"فدرالية المتجنسين من الأهالي في سبتمبر 1927م بقيادة الدكتور بن تامي ثم انقسمت سنة 1930م إلى ثلاثة فيدراليات مستقلة في العملات

[1] العكروت خميلي ،المرجع السابق، ص124

الثلاث بسبب الخلافات والصراعات على الزعامة. في وقت تضاعف إيمان الشعب بأن هذه الفئة لا تخدم مصالحه. بظهور جمعية العلماء المسلمين إلى النور في 5ماي 1930م أنصار الإدماج وجدوا ضالتهم في مشروع السناتور Violetteالذي تشكل حوله نقاش كبير في الصحف والنوادي ووصل إلى حد حدوث أعمال عنف قابلتها السلطات الاستعمارية بتعنتها المعروف حيث أغلقت باب الإصلاحات الجامعية.[1]

هذا الإجراء خيب أمام النخبة فتباينت ردود الأفعال حول المسألة "التجنس" أو المواطنة في إطار القانون لا مجال للتجنيس الجماع. وبقية الخيارات الفردية. مفتوحة رغم أن فرحات عباس اقترح التخلي الجماعي على الأحوال الشخصية الإسلامية، بينما اقترح بن جلول إنشاء تمثيلية برلمانية خاصة المسلمين وفريق كبير ارتأى قبول التجنس والاحتفاظ بالأحوال الإسلامية.

عبر هذا الجدل عن خيبة أمل في الأوساط الدائرة في إطار الشرعية الفرنسية وعلى رأسهم حملة الشهادات بينما كانت أراء الاتجاه الوطني تؤكد صراحة رفضها لسياسة الإدماج وتعبر عن تمثيلها للأمة الجزائرية المتميزة بتاريخها وثقافتها، هذه الأمة المسلمة لا ترغب أن تكون فرنسا وهي بعيدة كل البعد عنها [2] ،وهذا ما عبر عنه ابن باديس في البيان الصادر في أفريل سنة 1936م فقد كان الرجل يدافع عن مقومات الأمة الجزائرية ببعدها الحضاري بينما تولى "نجم شمال إفريقيا" المطالب السياسية .

اعتبارا من تاريخ انعقاد المؤتمر الإسلامي في 7جوان 1936م وفي خضم الحماس السياسي الذي أعقب انتصار الجبهة الشعبية في فرنسا والتي كانت تبدو معارضة للاستعمار، يمكن أن نلاحظ التفكك الذي

[1] العكروت خميلي، المرجع السابق124

[2] العكروت خميلي، المرجع نفسه ص125

عرفته حركة الشبان الجزائريين المتقاطعة مع العلماء ومناضلي الأحزاب الاشتراكية والشيوعية آنذاك حول المسألة المتمثلة في المطالبة بمنح المواطنة الفرنسية لكل سكان الجزائر دون التخلي عن قانون أحوالهم الشخصية مع إلحاق عمالات الجزائر مباشرة بفرنسا.

إن هذا التفكك يظهر في محاولة المنتخبين وهم من النخبة المؤمنة بالتجنس جر ممثلي النخبة إلى تبني هذا الخيار، الذي كان يبدو مرفوضا حتى من السلطات الفرنسية.

إن تغيب الاتجاه الوطني المتمثل في النجم يعبر عن هذا التفكك، وهذا ما ترجمه التجمع الكبير الذي نشطه مصالي الحاج والمندد بأي شكل من أشكال الارتباط بفرنسا "لا نقبل أن يرتبط بلدنا ببلد آخر رغم أنفه ولا نريد مهما كان السبب المغامرة بالمستقبل وبالأمل في الحرية الوطنية للشعب الجزائري.[1]

أما بالنسبة للمسار الثاني:

في ظل الظروف السياسية الخاصة بالجزائر المستعمرة، والتناقض الذي شاب سياسة الإدماج 1909-1956 حيث ظلت المسألة انتقائية وتخضع للطلب الخاص للمتجنسين وفي ظل الضغوط المعروفة على الطالب أو حامل الشهادة بعد التخرج والتي سبق الإشارة إليها يمكننا إجراء تحديد لمختلف الاتجاهات التي ظهرت في صفوف هذه الطبقة إما على الصعيد الاجتماعي أو المرافق السياسية القضاء السياسي الذي خلقته السياسة الاستعمارية في الجزائر على فترات مختلفة أمكننا التمييز بين أصناف من السلوكيات السياسية والاجتماعية في صفوف الطلبة والخريجين تعبر عن ميزات طبعتها ظروف سياسية واجتماعية متغيرة

[1] العكروت خميلي، المرجع السابق، ص125

في ظل الوجود الاستعماري فمن هذه الاتجاهات نجد ملتزمي الحياد السياسي والمنصرفين إلى ممارسة حياتهم الاجتماعية بهدوء دون التخلي عن أحوالهم الشخصية الإسلامية وذلك اتقاء البطش الاستعماري في وقت كان الهامش السياسي ضيقا جدا إما بسبب الحصار الاستعماري أو بسبب افتقار الساحة إلى قادة ومن أمثال هؤلاء الأستاذ محمد بن أبي شنب وهو شخصية جزائرية تولى مهمة التدريس في جامعة الجزائر في العهد الاستعماري والذي لا يعرف عنه أي موقف سياسي معادي لسلطة فرنسا ولا اشتغال بالسياسة .

وفي هذا الصدد في تحليله كمضمون مراسلات ابن أبي شنب مع محمد كرد علي يقول "سعد الله" فهو رغم مكانته لدى الفرنسيين لم يستطع أن يقنع أعضاء هيئة تحرير المجلة الإفريقية بضرورة تبادلها مع مجلة المجتمع العلمي العربي ونلاحظ ذلك بعد وفاة رنية باسي" قد رشح صديقه هنري ماسيه لعضوية المجمع ولم يرشح أي شخص من زملائه الجزائريين الذي سبق له أن قال عنهم:خدموا اللغة في بلاده وكان بذلك في نظرنا يخدم الاستشراق والثقافة الفرنسية أكثر ما يخدم التيار العربي والثقافة العربية ولعل ترشحه لعضوية المجمع قد تم بهذه الطريقة.[1]

كان ابن أبي شنب مجار للسياسة الاستعمارية الفرنسية فلم يجهر بمعاداتها ولا ينتظر منه في تلك الظروف أن يكون وطنيا قبل كل الجزائريين ولا أكثر منهم جميعا.

وإذا كان الرجل قد خدم اللغة العربية في وقت كانت أجنبية في وطنها وخدم أيضا التراث المغاربي فقد أعيب عليه مسألة مساهمته في مؤتمرات المستشرقين ونشاطه العلمي في الإطار الفرنسي الاستعماري.

[1] العكروت خميلي، المرجع السابق ،ص127

واعتبر ذلك ولاء أكرمته عليه فرنسا بمنحها له وسام جوقة الشرق سنة1922م وانتدابه لعدة مهمات علمية في إطار نشاطه في جامعة الجزائر وحقل الثقافة والعلوم.

كل ذلك في وجه الازدهار الاستعماري وفي ظروف طبعها التردي الثقافي والاجتماعي في الأوساط الجزائرية فلا غرابة أن يتخذ الرجل هذا الطريق ودونه كثر ممن اعتزلوا الخوض في مسألة الاستعمار الفرنسي ومستقبل الجزائر في وقت كانت الظروف كلها في صالح الاستعمار .

هذا الحياد كان موقفا سياسيا لم يرحم أصحابه من الانتقاد والاتهام فإننا نجد تيارا آخر ارتبط ارتباطا وثيقا بالاستعمار واعتبره رسولا للحضارة المزعومة ومخلصا لها من ظلمات الجهل .

هذه الفئة هي التي أطلق عليها الاستعمار نفسيا مصلطح Les Naturailise أو المتروطين من الأهالي وهم كل من تجنس بالجنسية الفرنسية وتخلى عن أحواله الإسلامية بل وصل الحد ببضعهم إلى إعلان ردته رسميا عن الإسلام واتهامه بأبشع وإن لم يكن أغلبهم من حملة الشهادات وخريجي الجامعة فإننا نجد الأمثلة كثيرة من هؤلاء .

إن التجنس لم يكن سوى حلا اضطراريا للراغبين في الهروب من قبضة الاستعمار الى مغرياته المادية وما حالات الردة سوى تعبير عن الاستلاب إما بقناعة أو دونها وارتماء في أحضان الجهاز الثقافي الاستعماري كان العبء ثقيل والطريق ضيق حسب تعبير أحدهم [1]

كرّس هذا التوجه نفوذ مجد فرنسا و منجزاتها و قوتها ، و وجود صحف تخدم هذا الغرض مثل تلك التي أنجزها العربي فكار و أخوه بن علي المسيمات "المصباح" و التي أخذت من شعار "من أجل فرنسا بواسطة

[1] عبد القآدر جغلول ، الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر ، دار الحداثة لبنان ، ص 61

العرب و من أجل العرب بواسطة فرنسا" لنضالها و المقصود هو الحلم بنهضة في المجتمع الجزائري بمساعدة فرنسا ، أو على الأقل لتحقيق المساواة ،في حدود سنة 1912م .

ما كان لهذه المواقف أن تظهر لولا التفطيك المقصود للمجتمع الجزائري و محاولة إعادة البناء في شكل جديد يستجيب لرغبة المستعمر أو يتماثل معها.

كما يعتبر كتاب " بن حبليس" الجزائر الفرنسية من منظور أحد الأهالي و الذي نشر سنة 1914م أحسن وثيقة تترجم هذا التوجه .حيث تتمحور أفكاره حول التقارب بين المستوطنين والأهالي واندماجها،

ويستعرض المنجزات الفرنسية في الجزائر يمدحها لدرجة التعظيم.[1]

و يصدر أحكاما قاسية في حق بني جلدته و في ذلك يقول المؤلف "ليس لهذا الشعب شيء يخسره حين يصير فرنسيا إنّه شعب بسيط و طيب وسوف تلين قناعته بسبب الاعتراف بالجميل يمثل العقبة الوحيدة في ذلك الكم الهائل من الأحكام المسبقة الموروثة و لسوف يبددها التعليم هذا مثال على التجنس و الاندماج و الاستيلاب و هناك أمثال أخرى على الردة عن الاسلام مثل المحامي "بلقاسم أبا عزيزن" ، الذي اعتنق المسيحية و سمى نفسه "أوغسطين" في الكنيسة ، وكذلك المدعو "حنفي لحمك" الذي ينشر "الرسائل الجزائرية" التي وصفت الإسلام بأنه عامل الموت و المحذوذ فعالية عظيمة و متنافي مع قواعد الحياة العصرية وهذا من نتائج السياسة الاستعمارية في منطقة القبائل والتي ارتكزت على التنصير والدعوة للأصول الأوروبية المتحكمة في خيرات الجزائر. وكذا لتجنب المعاملة العنصرية و أشكال الاستهجان التي كان ألقاها هؤلاء في

[1] عبد القآدر جغلول،المرجع السابق،ص62

المجتمع الأوروبي و لا يهم مع ذلك فقدانهم لمواقعهم في مجتمعهم الأهالي الذي أصيحوا يزدرونه ، و الذي أصبح بدوره بنعتهم بالردة و العمالة.[1]

و بسبب انسلاخهم عن بني جلدتهم فقدوا دوارهم السياسي وكانت جمعية المعلمين الأهالي تروج لأفكار في مجلة "La vois des imbles"حتى سنة 1939م و كذلك شكّلوا جمعية ترعى "رابطة المواطنين الفرنسيين ذوي الأصول الأهلية" و مهما يكن من أمر فإن الذين اختاروا التجنس و الادماج و دافعوا عنه ظلت فئة قليلة إذ لم تكن الإدارة تسمح بالتجنس ببساطة ، وأوضح الجنسية لكل من يرغب فيها.

لذلك ظلت فئة أخرى تتأرجح بين التمسك بأحوالها الشخصية وبين التجنس وتستمر في الجدل هو إمكانية التعايش بين الطائفتين الأوروبية و المسلمين في ظل القوانين الفرنسية التي يمكن أن تعدل لتمنحهم حقوق متساوية ، و بالتالي بقوا رهينة للتطورات و المشاريع الاستعمارية ، و كذلك الذي قدّمهVoilette السناتور سنة 1931م و مشروع Glom Voillette الصادرة سنة 1936م و الذي وعدهم بالحصول على الجنسية الفرنسية مع احتفاظهم بأحوالهم الشخصية و لعلّ السواد الأعظم من النخبة المثقفة و حملة الشهادات كانت في هذه الفئة المترددة و الرافضة للتخلي عن أحوالهم الشخصية الإسلامية.

و خير مثال عن هؤلاء نجد السيد "فرحات عباس" و الذي كاد أن ييأس سنة 1935م و الذي صرّح " لم يعد ثمة حل لهذا البلد سوى الإندماج و ذوبان العنصر الأهلي في المجتمع الفرنسي و إذا استحال تحقيق

[1] _العكروت خميلي ، المرجع السابق ، ص 129.

التجنس في إطار القانون الخاص فإنّ الأهالي سوف يخضعون للقانون العام ،أي أنهم سوف يرضون بالجنسية و بالتخلي عن قانون الأحوال الشخصية الخاصة بهم.[1]

الكثير ممن كانوا يوصفون بالتردد و الازدواجية تجاه مسألة التجنس والأحوال الشخصية، من المؤمنين بفضائل الحضارة الأوروبية و المتمسكين بالانتماء الإسلامي وجدوا ضالتهم في هزيمة فرنسا 1940م

و فصلوا في المسألة في شمال إفريقيا إذ لم تعد المواطنة الفرنسية تستهوي الكثير منهم و على رأسهم" فرحات عباس".

و مهما يكن من الأمر فإنّه من جملة هذه الفئة المترددة و كذلك نتيجة لقناعات فردية كثيرة ، وكذلك كنتيجة احتكاك الطلبة الجزائريين بنظائرهم من تونس و المغرب و حتى من الأوروبيين و بفضل نشاط حزب الشعب الذي وصل إلى استقطاب عناصر مثقفة ، ظهر الاتجاه الوطني من بين الطلبة و حملة الشهادات

و تخندق في مختلف الهياكل التنظيمية للحزب بعد سنة 1946م.

إن أهم مقياس لمردود نظام التعليم و التكوين هو اكتشاف المواهب و الرغبة في التفوق و الاتقان ،

و بالنسبة للجامعة فإن المقياس المعتمد عليه هو منتوجها من البحث الأساسي و التطبيقي أي الربط بين البحث و التنمية بمعناها الواسع.

و منظومة التكوين التي تقع في صميم إشكالية التخلف ، لا يمكن أن تكون قضية شخصية و إعلانات نوايا ، و بمعنى آخر إن سياسات التكوين و البحث ، ينبغي أن لا تخضع لأمزجة المنفذين و ميولهم

[1] _العكروت خميلي ، المرجع السابق ، ص 130.

الإيديولوجية ، فهي في المرحلة الراهنة ولمدّة طويلة، ينبغي أن تكون أساس كل السياسات و غاية كل الغايات. سبب ذلك أن هذه المنظومة تتلقّى من جهة انعكاسات التخلف الاقتصادي والاجتماعي

و الثقافي، و هي مطالبة من جهة أخرى بتصميم مستقبل مغاير للواقع، أي أفضل منه، وهي بذلك تواجه وضعين متعارضين يقتضي منها الوضع الأول أن تتجاوب مع محيطها المتخلف، ويدعو الوضع الثاني أن توظف كل طاقاتها لبناء المستقبل أي تأسيس النهضة الحديثة للشعوب.

و تواجه مؤسسات التكوين الجامعي عزلة مصطنعة عن محيطها الاقتصادي والاجتماعي و الثقافي، وذلك بسبب تضخم الطلاب بدون توجيه أو متابعة بيداغوجية ، و بالإضافة إلى ندرة وسائل التثقيف خارج هذه المؤسسات . تحت وطأة كل هذه الضغوطات يصبح الهم الأول هو الحصول على (الدبلوم) ، و الشغل الشاغل للأساتذة هو الحصول على الترقية.

إنّ اصلاح مناهج التعليم و إعادة النظر في فلسفته و أهدافه يتطلب مراجعة مضامين التكوين و مناهج التوصيل، ودراسة خصائص المكونين والمتكونين، وتطوير الوسط الذي تدور فيه عمليات البحث و التبليغ المعرفي والتربوي ويحتاج مثل هذا العمل إلى مساهمة مباشرة من الأطراف المعنيين، مثل المكونين و المستعملين للإطارات المتخرجة و الخبراء و دراسة نماذج من الأنظمة التربوية المشابهة و غير المشابهة، ولا يمكن لمجتمعنا النامي أن يسمح بتبذير الجهد و الوقت في إجراء إصلاحات تخضع لأمزجة أفراد و ميولهم الشخصي في فترات قصيرة ، وفي الوقت الذي تتطلع فيه للتخلص وضعية التخلف والتبعية.

إن النظر إلى منظومة التكوين عبر مراحلها المختلفة، و تقدير ما تقدمه من التأهيل .[1] المهني و الثقافي ، وما تشعّ به على محيطها من ثقافة و كفاءة ، ينبغي أن يكون على أساس قيمة البحث العلمي الأساسي

و التطبيقي القابل للتوظيف في عملية التنمية الوطنية ، وكذلك بناء على مستوى مردودها من الخبرة

و المهارات الفكرية و التقنية في مختلف الميادين ، و لن يتأتى ذلك بدون نخبة شغوفة بالتفوق و الإتقان في مجالات الفكر و العلم و فنون الإبداع و إنتاج المعرفة و تراكمها و القدرة على إثرائها و نشرها بين الأساتذة و الطلاب وفي المجتمع بوجه عام.

و من السابق لأوانه تقييم التنظيم الذي اعتمده التعليم العالي في الجزائر ليسانس، ماستر، دكتوراه ، إذ من الضروري تقدير منتوجه من الكفاءات المتوسطة و العالية بعد دورة زمنية قد تستغرق عشرية كاملة بعد تخرج منتوجها في الميدان و بذل جهد كبير لتكوين المكونين و تقييم دوري لنتائج البحث العلمي الأساسي

و التطبيقي و نوعية الكفاءات و مدى تأهيلها في مختلف مجالات التنمية و مقارنة ذلك بحصيلة ما توصلت إليه نفس البلدان التي طبقت ذلك التنظيم في أوروبا و أمريكا.

و من خلال هذا نقول أنّ الإصلاحات نعني بها تطوير الجامعة ولا يتم هذا الأمر إلاّ بالخروج من وضعية التخلف والتبعية دون نظام متطور للتكوين يشجع التفوق والامتياز تدعمه إرادة سياسية واعية برهانات المستقبل ، و ينطلق من رؤية استراتيجية تحشد الامكانيات و توظيفها بعقلانية و على المدى الطويل .

[1] _محمد العربي ولد خليفة ، المنطقة العربية الاسلامية مدخل الى نقد الحاضر و مساءلة الآخر ، ط 2 ، دار الأصل للطباعة و النشر و التوزيع ، ص 151.160.

و لتحقيق هذا ينبغي البدء بتصحيح أخطاء شائعة **أولها**: الاعتقاد بأن استيراد منتجات العلم

و التكنولوجيا في صورة سلع وخدمات يعني التطور والتنمية، فقد تأكّد في مختلف تجارب البلاد النامية منطقتنا جزء منها ، أنّ ذلك لا يعني أبدا التحكم في المعرفة التي أنتجتها أو تقبّل العقليات و السلوكات الملازمة لها ، بل إنّها تؤدي غالبا الى مزيد من التبعية و الاتكال على الآخر.

أما **الثانية**: فيتمثل في قلة العناية بالبحث الأساسي في العلوم الدقيقة و علوم الإنسان و المجتمع على اعتبار أنّ ذلك غير مجدي ، أو أنّ البلدان المتقدمة تقوم بوضع الأنساق المعرفية بالنيابة عنا ، الحقيقة أنّ التقدم العلمي عملية مترابطة قد يأخذ نوع من المعرفة موقع القاطرة كما هو الحال اليوم في الحاسوبية و الهندسة الوراثية.

و**الثالث**: تلك الأخطاء و أكثرها ضررا فيتعلق بإبعاد العربية عن حركة التطور العلمي و تفضيل اللّغات الأخرى مثل الفرنسية والإنجليزية لتدريس الطب والعلوم والتكنولوجيا.[1] في المعاهد العليا و كليات التخصص في التعليم العلي، بحجة تخلف العربية أو عجزها عن نقل العلوم و التقنيات الحديثة و ندرة المراجع المحكّمة بلغة الضاد.[2]

[1] _ محمد العربي ولد خليفة ، المرجع السابق ، ص 164.161.

[2] _ محمد العربي خليفة ، المرجع السابق ، ص 164.

خلاصة:

منذ بداية نشأة الجامعة الجزائرية كانت دائما تسعى إلى تطوير إصلاحاتها و الدعوى بالاعتراف بالثقافة و الشخصية الجزائرية، وبالتخلي عن سياسة الإدماج و استبدالها بسياسة التعاون و تعهد الإتحاد بلعب دور الوسيط بين الثقافتين لكن هذه الإصلاحات لم تلق اهتماما و تطورا والذي أدّى إلى عدم تغيير الإصلاحات و عدم تطويرها هو التقليد للإصلاحات الغربية و الدليل على ذلك أنّ الجامعة الجزائرية لم تتغير و تتطور إلى يومنا هذا ومازالت تتبع إصلاحات الغرب ولو اعتمدنا على أنفسنا و أسلوبنا لأصبحت جامعتنا تحتل المراتب الأولى بدل الأخيرة.

المبحث الثالث: آثار الجامعة على المجتمع الجزائري :

لقد ظلت آثار الجامعة ظاهرة حتى بعد استقلال البلاد، ويمكننا حصر هذه الانعكاسات في ما يلي:

أولا: إيقاف المسار الطبيعي لتطور المجتمع الجزائري وإدخال تناقضات ثقافية وفكرية خطيرة عليه كان من نتائجها تراجع وتقلص قدرة هذا المجتمع على الإبداع والابتكار، وخلق مشاكل وصعوبات عديدة أمام الحركة الوطنية في مرحلة إعادة بناء وهيكلة الهوية الوطنية .[1]

إضافة إلى تكوين فئة من متوسطي الثقافة من الجزائريين لاستعمالها في بعض الوظائف حتى تلعب دور الوساطة بين الجزائريين والإدارة الفرنسية.[2]

ثانيا: بروز نخبة جزائرية مفرنسة :

-مفهوم النخبة :يقصد بجماعة النخبة (Lelite)أو المثقفين (intellectuels)أو المتطورين (Evolues)،وهم من تعلموا الفرنسية وتأثروا بالثقافة الأوروبية وانبهروا بمظاهرها وتقاليدها واقتنعوا بعظمة فرنسا وقوتها واعتبارها صاحبة الحق الشرعي في الجزائر وهذا خلافا للنخبة التقليدية (أو المحافظة)التي حافظت على انتمائها الحضاري واستمرت في اتصالها مع المدارس العربية الإسلامية .وبذلك أصبح المتفرنسون هم المدافعون عن فرنسا في الجزائر، والمتحمسين الأوائل لفكرة الإدماج مع دعاته الأصلين ،إلى جانب ذلك ارتموا في أحضان الحضارة الفرنسية وأنكروا أو تجاهلوا حضارتهم العربية الإسلامية بمطالبتهم

[1] Ahmed miahas ,le mouvement revolutionnaire algerien de la premier guerre mondiale à1914,édition l'harmattan,paris ;1979 ,p334

[2] فرحات عباس ،حرب الجزائر وثورتها ،ليل الاستعمار ،تر أبو بكر رحال ،منشورات ANEP،الجزائر 2006،ص30

بالتجنس بالجنسية الفرنسية حتى يصبحوا في مصاف الفرنسيين والأوروبيين أنفسهم من حيث وضعهم الاجتماعي والسياسي، بل أن بعضهم قد بلغ التطرف إلى حد إنكار وجود شخصية جزائرية قائمة بذاتها في التاريخ.[1]وقد تطورت بشكل فجائي وتجاوزت بفعل حيوتها الأوساط ذات النزعة التقليدية وتفوقت عليها وسرعان ما أصبح الحديث في الجزائر وفرنسا يدور حول حركة من الشبان الجزائري أصحاب النزعة العصرية.[2]

وبذلك نقول أن النخبة كانت وليدة المدرسة الفرنسية ،فساهمت المدرسة العليا للآداب بالجزائر العاصمة وكان أول مدير لها هو "أمير سكراي" في ظهور نخبة مزدوجة اللغة[3] وأثناء هذه الظروف تشكلت الجماعة سنة 1907م منافسة للمحافظين وأعضائها مفتوحي العقل، وفي هذا المجال قد عرفها "علي مراد"يقول: "بأنها جماعة تحسن اللّغتين ينتمون إلى الطبقة المثقفة فأصبحت مشتتة بين حضارتين عربية وفرنسية.[4]

وقد عرفها "شريف بن حبيليس "الجامعة التي كان ينتمي إليها في الكتاب الذي نشره سنة 1914م :"ثريات الشبان المتخرجين من الجامعات الفرنسية والذين كانوا قادرين بأعمالهم أن يصعدوا فوق الجماهير وأن يضعوا أنفسهم في مصاف ناشري الحضارة الحقيقيين ."

وقد وصفهم المؤرخ الفرنسي "لوري بوليو" بـ :"الجزائريين المتأوربيين "ويقول أبو القاسم سعد الله :أن مفهوم النخبة لم يضبط فيعتبرها البعض فئة ضائعة ما بين الحضارتين ،وقد قال الكاتب الفرنسي جوريس":"إننا

[1] عبد القادر حلوش ،المرجع السابق ،ص 251

[2] شارل روبير آجرون ،تاريخ الجزائر المعاصر من الانتفاضة 1871م إلى اندلاع حرب التحرير 1954م،تر جمل فاطمي وأخرون ط1،دار الأمة ،الجزائر ،2008م ص369

[3] جيلالي صاري ،بروزالنخبة المثقفة (1850-1950)تر :عمر المعراجي ،منشورات ANCP الجزائر ،2007،ص12

[4] خير الدين شترة ،إسهامات النخب الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية (1900-1939)،دار البصائر 2009،ص24

مزقنا الشبان الجزائريين بين حضارتين سرعان ما فقدوا الاتصال بحضارتهم ولكنهم غير قادرين على الدخول في حضارتنا إلا بصعوبة."

أما شيربي"الصحفي والكاتب الفرنسي وصفهم بأنهم فخورون يحملون معهم أفكارا سيئة معادية لفرنسا ".[1]

وقد ذكر الشاني "le chani وهو مدرس معاصر في تعريفه لهذه الشريحة في محاضرة ألقاها بالجزائر العاصمة:"يرتدون ملابس أنيقة على الطريقة الأوروبية ويجوبون الشوارع ويجلسون على شرفات المقاهي ويترددون على السينما وأماكن اللهو "[2]

وإذا كان بعض الشباب الجزائري المتجنس والحامل لشهادات الجامعة يصرح عاليا بسخطه نتيجة لحرمانه من بعض الوظائف ،فإن التجنس الذي أقدمت عليه كل هذه النخب عمل شجاع لأنه يواجه إشكالية دينية وكانوا يلصقون بهم تسمية لمتوربي. لأن التجنس في نظر المفتين خروج عن الدين .[3]

ولقد كان توجه النخبة المفرنسة تبعا لمرجعيتها الثقافية ،بحيث تأخذ منحنى العمل على توجيه المجتمع الجزائري نحو النموذج الأوروبي خصوصا بين الحربين العالميتين (1919-1939)إذ كان موقفها في هذه المرحلة تعادي العلماء والأعيان والمرابطين وتسميهم بالرجعية وبمعارضة التقدم كما شنت حملات ضد التقاليد البالية والخرافات.[1]

[1] أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1939م ج2 دار الغرب الإسلامي بيروت 1992م ،ص159-161

[2] خالد بوهند النخب الجزائرية ،(1892-1942م)نسبها ونشأتها وحركتها ،ج 1،رسالة دكتوراه ،2010-2011،ص169

[3] شريف بن حليس ،الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي ،تر عبد الله وآخرون ،دار بهاء الدين ط1 ،الجزائر ،2008،ص98

أما البرنامج الخاص بها تمثل في ما يلي :

1-إلغاء قانون الجنسية المعروف (سناتوس1865م)الذي نص على أن الجزائري لا يمكنه أن يتمتع بامتيازات الجنسية الفرنسية إلا عندما يتخلى عن حالته الشخصية كمسلم.

2-تسهيل الهجرة إلى فرنسا لأنها سترفع من حالة الجزائريين المعنوية من خلال الاتصال بالأخرين والتعرف على مجتمعات أخرى كسبت خبرة أحوالهم المادية وأحوال عائلاتهم في الجزائر .

3- احترام الحضارة العربية الإسلامية .

4- تعليم الجزائريين وإصلاح المدارس الجزائرية الفرنسية .[2]

5-نشر التعليم الفرنسي والثقافة الأوروبية لتطوير المجتمع الجزائري .

6-إصلاح أحوال الفلاحين والإكثار من الجمعيات الخيرية .[3]

-وقد ظهرت في النخبة شخصيات بارزة نذكر منهم:

1-**محمد بن أبي شنب** :إحدى الشخصيات الجزائرية ذات التكوين المزدوج الفرنسي والعربي الذي فرض نفسه على الساحة العلمية والأدبية في الجزائر المستعمرة خلال القرن التاسع عشر، وهو إلى جانب ذلك عبقرية مبكرة ،ميزه سبقه إلى الإلمام بعلوم وثقافة عصره إضافة لتمسكه بأصالته وهويته.[1]

---

[1] الطاهر العمري ،النخب الوطنية الجزائرية ومشروع المجتمع (1900-1940)،رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية ،قسنطينة ،الجزائر ،2003-2004،ص249

[2] محمد بلعباس، الوجيز في تاريخ الجزائر ،دار المعاصرة ،الجزائر ،2009،ص16

[3] المرجع نفسه،ص16

ولد محمد بن العربي بن محمد بن أبي شنب سنة(1226هـ -1869م)بفحص قرب المدية ،وتعلم بمسقط رأسه ،ثم بمدينة الجزائر التحق بالتعليم سنة1888م ،عين أستاذا للعربية في جامعة الجزائر ،ومنحته الجامعة الجزائرية لقب دكتوراه في الآداب سنة 1920م، كان يحسن اللغة الفرنسية وله إلمام ببعض اللغات منها الفارسية والعبرية والإيطالية والإسبانية ،انتخب عضوا في المجتمع العلمي العربي بدمشق سنة 1920م وعضو في المجتمع العلمي العربي بباريس سنة1924م ،وكانت له مكانة عالية عند المستشرقين كما كانت له مراسلات مع كبار الكُتّاب والأدباء ،صنف من الكتب الكثير منها:(تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب 1906)وكتاب (الألفاظ التركية والفارسية الباقية في اللهجة الجزائرية 1922م)...وغيرهم ،كما عنى بتصحيح وتحقيق ونشر عدة كتب من نفائس التراث العربي منها :(رحلة الورتلاني 1908م)،وشرح ديوان عروة بن الورد ،ابن السّكّيت1926م)كما ترجم (ديوان الحطيئة "مخطوط")...الخ.[2]

ومن أساتذته الذين أثروا في حياته العلمية رنييه باصيه "Riené Basset(1855-1924) كبير المستشرقين الفرنسيين ومدير مدرسة الآداب في الجزائر وسخر لخدمة الإدارة [3]الاستعمارية بكل حرص وجند الفرنسيين والجزائريين معا ووظفهم للتدريس والبحث والتأليف والنشر وكانت الحكومة العامة تسانده بالمال للقيام بأبحاثه وأبحاث تلاميذه وبعثاته ورحلاتهم وتوجته الإدارة سنة1905م برئاسة مؤتمر المستشرقين الدولي

[1] أبو القاسم سعد الله ،أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ،ط1 ج 4،بيروت ،دار الغرب الإسلامي 1996،ص157-158

[2] محمد شطوطي ،سلسلة أسماء في التاريخ ،ابن شنب العالم والأديب ،دار الشرشار للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2003،ص05-08

[3] حنيفي هلايلي ،الجزائريون وتحقيق التراث خلال الفترة الاستعمارية على ضوء المجلة الإفريقية حالة محمد بن أبي شنب (1869-1929)،جامعة سيدي بلعباس ،ص164

14 في الجزائر .كان باصيه يتقن عدة لغات فعمل أستاذا بمدرسة الآداب بالجزائر ثم عين مديرا لها سنة 1894م ليصبح عميد كلية الآداب بجامعة الجزائر سنة 1911م.

فقد اكتسب ابن أبي شنب احترام المثقفين العرب والأوروبيين وتقديرهم ،وهذا لجهوده في التقريب بين الثقافتين العربية والفرنسية .[1]

2-**فرحات عباس**: يعتبر فرحات عباس من الشخصيات البارزة في الحركة الوطنية وتجلى ذلك من خلال أفكاره ومبادئه فكان من دعاة الإدماج مع فرنسا لعوامل ساهمت في تكوين شخصيته. فيعتبر من رواد النخبة في الجزائر ذو المنهج والتعليم الفرنسي فهو خريج المدرسة الفرنسية منذ بدايته وصولا إلى الجامعة فتكون تكوينا غربيا حتى أصبح لا يؤمن بوطن اسمه الجزائر.

نشأ فرحات عباس في منطقة جبلية تسمى دوار الشالمة بالطاهير التابعة لعمالة قسنطينة حاليا لولاية جيجل في 24أكتوبر 1899م من أسرة عريقة بمنطقة الشرق الجزائري .فهو ابن سعيد بن أحمد عباس الذي كان يشتغل قايد ثم ترقى إلى منصب آغا شرفيا لبلدية الطاهير فكانت أسرته كثيرة العدد ومثقفة متكونة من سبع بنات وخمسة ذكور ،فقد كانت أسرته من العائلات الميسورة الحال مقارنة بمعظم الأسر الجزائرية فلم تعاني من الفقر والحرمان باعتبار منصب أبيه وتعلم إخوانه .تلقى فرحات عباس تكوينه الأولي في الزاوية والمدرسة القرآنية بعدها انتقل إلى المدرسة الابتدائية الفرنسية بجيجل، ثم دخل متوسطة "فليب فيل" بسكيكدة وهو ابن 16عاما ،زاول دراسته الثانوية بقسنطينة وفي سنة 1921م تحصل على شهادة البكالوريا ،ثم انتقل إلى

[1] حنيفي هلايلي، المرجع السابق،ص164-165

الجزائر ليواصل دراسته الجامعية عام 1923م فاختار[1] تخصص الطب فرع صيدلة باعتبارها مهنة حرة غير مرتبطة بالعمل مع السلطة الفرنسية ،وكان كثير الاهتمام بالتاريخ والفكر والحضارة والفلسفة فتأثر بالمفكرين الفرنسيين وثقافتهم ومبادئ الفكر الفرنسي من خلال الأفكار التنويرية الرامية للسلم والمساواة والأخوة كافولتير ،واهتم بدروس الجغرافي قوتيي"Gautier وانصب اهتمامه أيضا بدراسة فكر الحضارة الإسلامية والموروث الثقافي الوطني وتاريخ فرنسا بانتهاجها نفس المنهج لتثبيت نفسها وإدماج الجزائريين في حضارتها وليس من أجل الدفاع عن تاريخ المسلمين وحضارتهم .

-التكوين السياسي لفرحات عباس :عرف تكوينا سياسيا متكاملا في المنهج والفكر وتمثل في التكوين السياسي الطلابي والحزبي:

أ-التكوين السياسي والطلابي :إن تكوينه التعليمي العالي الفرنسي واهتماماته بالثقافة الفرنسية جعلته يهتم بأمور السياسة وفي سنة 1926م ترأس جمعية الطلبة المسلمين لجامعة الجزائر وتجلت اهتماماته في تحسين الأوضاع وتجسيد مبدأ الجزائر فرنسية ،فنشر الوعي السياسي بين الطلبة وحتى في الأوساط العامة. وفي سنة 1933م طالب في المؤتمر الثالث لجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا بالجزائر (الذي عين نائبا لرئيسها ثم رئيسا لها من عام 1926م إلى 1931م)بتحرير دول المغرب العربي وبث اللغة العربية والوحدة المغاربية وإدماج المجتمع الجزائري مع فرنسا .

[1] جيجيك زروق ،النخب في الجزائر (مصالي الحاج وفرحات عباس دراسة تاريخية وفكرية مقارنة)العدد 02،جامعة سطيف ،ص55-56

ب–**التكوين السياسي الحزبي**: عُرف فرحات عباس بنشاطه السياسي المكثف بمدينة سطيف والتي بدأ فيها مهنة الصيدلة فأسس جمعية خيرية للم شمل الأهالي الجزائريين .وفي نفس الوقت كان يشرف على جريدة الوفاق وفيها بيّن فكره الإندماجي وربط الجزائر بفرنسا .[1]

3–**الطيب مرسلي**: من مواليد 1856م ابن ضابط صبايحي برتبة ملازم أول [2] درس في كلية الطب ،وهو أول طبيب مسلم متخرج منها ،انتقل للعمل في قسنطينة وشارك الأعيان في نشاطهم وعرائضهم فقد وقع على عريضة 1891م وتزوج من فرنسية وأخذ الجنسية الفرنسية .[3]

ألف الطبيب كتاب عنوان (المسألة الأهلية)طرح فيها كل ما يهم الجزائريين من التمثيل البرلماني وحقق ضرائب وقوانين استثنائية ،وعين لتقديم الدروس خاصة في قسنطينة (عندما أسسوا المدارس الشرعية) ،كان عنده احترام على الرغم من أنه متجنس ،وكان من المتعاطفين مع العالم الإسلامي على مواقفه المجاوي وتلاميذه وقدمها مالك بن نبي في عهد الإصلاح.[4]

ثالثا:تأسيس الإتحاد العام للطلاب (التنظيمات الطلابية):

ارتبط ميلاد الحركة الطلابية الجزائرية بمفهومها الوطني بالحركة الطلابية الجزائرية بمفهومها الاستعماري الاستيطاني من جهة ،وبالحركة الطلابية الفرنسية بوجه عام من جهة أخرى .فالجمعيات الطلابية الجزائرية من أقدم التنظيمات فقد بدأت في الظهور في شكل جمعيات عامة في المدن الجامعية ابتداء من سنة 1887م

[1] جيجيك زروق ،مرجع سابق ،ص56-57

[2] خالد بوهند ،مرجع سابق،ص132

[3] أبو الفاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج 5،دار الغرب الإسلامي ،الجزائر 1998،ص231-232

[4] المرجع نفسه ،ص232

والمدارس الجزائرية العليا .اندمجت كلها في تنظيم فدرالي فرنسي موحد سنة1907م [1] ،وفيه لاقى الطلبة المسلمين كل أشكال الإقصاء والتمييز بوصفهم غير فرنسيين مع مطلع القرن العشرين إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ،أين عبر الاتحاد الفرنسي عن رفضه لغير الفرنسيين في صفوفه.

وفي ظل تلك الظروف العصيبة التي كان يلاقيها الطالب المسلم برزت الحاجة للتنظيم والتكتل ،فبدأت تظهر إلى الوجود النوادي العلمية والجمعيات الثقافية والصحف وبات باب التمثيل مفتوحا لمختلف شرائح المجتمع ومنهم الطلبة ،الذين عملوا بدورهم على إخراج الحركة الطلابية الجزائرية إلى الوجود وأولى التنظيمات الجزائرية الخاصة بالطلبة المسلمين كانت "جمعية الودادية للتلاميذ المسلمين في إفريقيا الشمالية" والتي نشأت بعد طرد الطلبة الجزائريين من فروع الاتحاد الفرنسي للطلبة.

وعموما فإن الجمعيات الخاصة بالمسلمين والتي كان لها نشاط وفروع في جامعة الجزائر هي:

1-الجمعية الودادية للتلاميذ المسلمين في إفريقيا الشمالية.[2]

2-جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا(pem)

3- جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين بفرنسا (AEMAF)

4-الاتحاد العام للطلبة المسلمين (UGEMA)

[1] غي بار فلي ،النخبة الجزائرية الفرنكفونية (1900-1962)،تر محمد مسعود وآخرون ،دار القصبة الجزائر 2007

[2] أحمد مريوش،الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير ،رسالة دكتوراه في التاريخ المعاصر ،2006،ص14

نشطت هذه الجمعيات إلى جانب الجمعيات الفرنسية التي كانت تضم طلبة فرنسيين ويهود وغيرهم وحتى مسلمين كجمعية طلبة الجزائر العامة وغيرها من المنظمات على مستوى جامعة الجزائر .

التنظيمات الطلابية وعلى اختلاف مراحل تأسيسها تتفق في جوانبها القانونية مع غيرها من التنظيمات الفرنسية ،فتعتبر مسألة التضامن والتعاون أهم هدف دارت حوله مطالب الطلبة إذ يتم التطرق إليه كغاية في المبادئ الأساسية لهذه التنظيمات في وقت لم تشتغل بالسياسة .لكن بعد ذلك عبر الفرنسيين عن رفضهم لوجود غير المتجنسين في مكاتب الاتحاد الفرنسي للطلبة في جامعة الجزائر. وبنهاية الحرب العالمية الأولى خرجت الودادية إلى الساحة الظلابية[1]،وأخذت مقرا لها برقم 02نهج المسبكة lafonrie الجزائر ثم لتستقر في نهج اسلي رقم65،ويعود الفضل في إنشائها للسيد بلقاسم بن حبيلس وهدفها تعاوني تجمع الطلبة الأهالي ماديا و معنويا وهي بعيدة عن الدين والسياسة حسب قانونها الأساسي ،ولا تهتم بمسألة التجنيس .

ونظرا للبعد المغاربي لهذه الودادية ظهرت جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا في نوفمبر 1927م بباريس .وأخذت مقرا لها بالي الاتيني رقم 16شارعRolineولم تستطع هذه الجمعية الاستمرار بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية .

وقد ظلت تحركات الطلبة في الجزائر تحت أعين الشرطة الفرنسية وذلك من خلال مراسلات الطلبة للسماح لهم بأي تجمع أو نشاط .إضافة إلى ذلك كان التجنس مرفوض من طرف هذه الجمعية ما دفع مجموعة من الطلبة المتجنسين إلى تأسيس ما يسمى بجمعية "طلبة المسلمين الجزائريين بفرنسا "في باريس في شارع

[1] جمعية الودادية :يعتبر يوم 18مارس 1919ميوما لتكوين الودادية وكانت قد تأسست سنة 1918م ،وأعلنت عنها الجريدة الرسمية يوم 15أفريل 1919م

Scheffer.والتي كان لها فرع بالجزائر ما يبين أن هذا التنظيم يخدم بشكل مفضوح الأطروحات الاستعمارية [1] وخاصة سياسة الإدماج الثقافي والتجنس .وأشركت هذه الجمعية في صفوفها أيضا الطلبة الفرنسيين المقيمين في الجزائر، كما أصدرت بجامعة الجزائر نشرية بعنوان Alger etudiant صدرت بانتظام بين (1927-1939)لكن يبدو أن الفتور مس هذا التنظيم أيضا بمجيئ الحرب العالمية الثانية.[2]

وكخلاصة نقول أن آثار جامعة الجزائر كانت واضحة بشكل كبير على المجتمع الجزائري منذ1909م إلى غاية عام 1962م حيث في بداية نشأتها كان الجزائريون المسلمون الملتحقون بالجامعة عددهم قليل مقارنة بالفرنسيين ومع مرور السنوات بدأ العدد في تزايد ،خصوصا أبناء الشخصيات المعروفة والموالية لفرنسا ،ويتم تكوينهم لغاية التخرج ومنحهم شهادات عليا ،ومن خلال هذا برزت نخبة مفرنسة شجعت على الالتحاق بالجامعة لأنهم رأوا فيها عاملا للنهوض بالمجتمع الجزائري.

ودام هذا التأثير وتطور حتى أصبحوا مندمجين بالثقافة الفرنسية ولغتها خاصة بعد1962م فبعد الاستقلال نرى أن أغلبية الذين واصلوا دراساتهم العليا كانوا يتوجهون لتخصصات وفروع تدرس بالفرنسية .وفي المرحلة ما بين 1962إلى 1969م كانت جامعة الجزائر تضم أربع كليات ،19معهدا ،ثلاث مراكز، أربع مدارس عليا ومرصدا فلكيا وفي 1970م تم إحداث وزارة التعليم العالي والبحث العلمي .وتم منخلالها تكثيف التخصصات الجامعية ،وزيادة عدد الجامعات وتحسين المستوى العلمي وعليه الشروع في البعثات للخارج وكذا إحلال اللغة العربية محل الفرنسية حيث أصبحت التخصصات باللغة الوطنية.

[1] عبد الله حمادي مرجع سابق،ص48

[2] المرجع نفسه ،ص48

المبحث الرابع:_ ردود الفعل على جامعة الجزائر:

كان لموقف الجزائريين و الفرنسيين دور هام في السياسة التعليمية أو فشلها لأنه يمثل حجر الزاوية لهذه السياسة فإلى جانب العراقيل التي أعاقت مسيرة التعليم في الجزائر كالموقف المعياري للمستعمر و الموقف المتردد لحكومة باريس و الجمهوريين في نوعية التعليم الذي يكون مناسبا في الجزائر ،كان للموقف الوطني أثره في السياسة التعليمية.[1]

و قد بقي نظام التعليم الجزائري موضوع صراع سياسي بين البرجوازية الاستعمارية من جهة و السلطة السياسية الفرنسية و الطبقات الاجتماعية الجزائرية المختلفة من جهة أخرى.[2]

1 _ موقف الجزائريين: لقد أظهر الجزائريون بعض التحفظات في هذا الجانب بعد أن تبين لهم جليا دورها في القضاء على شخصيتهم ، و كان موقفهم يشتد باشتداد الإجراءات التعسفية الفرنسية ضد التعليم العربي الاسلامي و اللغة العربية و كانوا يرون في محاولة تثقيفهم نوعا من المؤامرة تهدف الى القضاء على دينهم . و الواقع أن الجزائريين لم يرفضوا التعليم كعامل تثقيفي ، و إنما لأنه عمل سياسي تهدف سلطات الاحتلال من ورائه تحويل الجزائريين الى رعايا فرنسيين يخدمون المصالح الأوروبية دون إعطائهم حق المواطنة الفرنسية مع ما تشمله هذه الكلمة من حقوق سياسية كحق الانتخابات و غيره.[3]

---

[1] _عبد القادر حلوش ، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر ، ط 1، دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع ، برج الكيفان ، الجزائر ، 2010م ، ص 116.

[2] _عبد الطيف ، تكون التخلف في الجزائر ، محاولة لدراسة حدود التنمية الرأسمالية في الجزائر بين عامي 1830_1962م ، تر: محمد يحي ربيع و آخرون ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1979م ، ص 475.

[3] _ عبد القادر حلوش ، المرجع السابق ، 126.

أما بالنسبة لموقفهم من سياسة "شارل جونار" فقد تمثلت في عدم الرضا ، و هذا لأن "جونار" أجنبي في أهدافه و مناهجه ولغته ، و هذه كلها أمور تتعارض مع مقومات الشخصية العربية الإسلامية للشعب الجزائري . ولهذا وقف الجزائريون موقف معادي منذ بداية تطبيق "جونار" لسياسته التعليمية.[1]

2_ موقف النخبة:

_ النخبة المحافظة (التقليدية) :كان موقفهم مخالف و رفضوا التعليم الفرنسي و أرادوا التغيير و لكن داخل الاطار العربي الاسلامي للجزائر ، و طلبوا من فرنسا تنظيم مدارس عربية و استرجاع العمل بالقضاء الجزائري.[2]

و من بين الأعضاء الذين كان موقفهم صريح "إبراهيم بن عامر السوفي" الذي برز كمصلح و مرشد و دافع عن اللغة و الدين و رأى بأن المجتمع الجزائري يعاني من الرذيلة نتيجة السياسة الفرنسية ، و لهذا سعى من أجل الإصلاح و توعية الجزائريين.[3]

و اهتم الشيخ "ابن موهوب" أيضا بالنهوض بالتعليم و وقف معارضا للتعليم الفرنسي و دعى الى ضرورة النهوض بمنابع الاسلام الحقيقية و محاربة الجهل و الكسل لتحرير الجزائر من الانحطاط ، و قال: "إن العلم يزدهر بالعمل و إن الكسل يقتل موهبة الإنسان فاعملوا بجد أيها الشباب .....و اطمحوا مثل الآخرين

[1] _ بوضياف سميرة ،ملمح تكوين المعلمين و الأساتذة في الفترة الاستعمارية ، مجلة البحوث و الدراسات الإنسانية ، العدد 08 ، جامعة قسنطينة ، 2014 ، ص 72.

[2] _ خيثر عبد النور و آخرون ، منطلقات و أسس الحركة الوطنية الجزائرية1830.1954 ، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954 ، الجزائر ، 2007 ، ص 98.79.

[3] _إبراهيم المياسي ، مقاربات في تاريخ الجزائر (1830_1962م) ، ص 211.

للمجد .....و أنتم أبناء نسل شعب عظيم و رجال شجعان." و اتخذ موقفا صريحا من التعليم الذي فرضته الإدارة الفرنسية على الأهالي و صرّح قائلا: " لا توجد حقيقة خارج العلم ، ولا يوجد علم بدون بحث ، ولا بحث بدون رغبة كبيرة في الكمال و هذه الرغبة لا يمكن أن توجد في أمة ينقصها الثقافة و التعليم الإجباري للجميع ، وهذه الغاية الحقيقية من الحياة هي الطريق الوحيد الذي يجعل للإنسان أعلى درجة من الحيوان."[1]

_ النخبة الجديدة (الشباب الجزائريين): اتخذ أعضاء النخبة الجديدة موقف موحد اتجاه التعليم الفرنسي و طالبوا فرنسا بتنظيمه و فرضه على الجزائريين ، وهذا من أجل تطوير المجتمع الجزائري . و بهذا الصدد كان موقف "الشريف بن حبيلس" صريح قائلا: "إن أكبر الأحلام الخارقة لا تجد ميدانا مناسبا تترعرع فيه سوى في ذهنية العصور الوسطى ، التي كانت تطبع أولئك الطلاب أنصاف المثقفين .....ليس في وسع ثقافة الزوايا إلقاء الهلوسة في الفكر الموضوعي للشبان الذين أقنعهم أساتذة التاريخ و الجغرافيا....."[2]

كما قال أيضا: "إنّ فرنسا و هي تسعى الى تعليم الجزائريين تريد تحقيق هدفين هما : حاجتها الى توظيف المتعلمين من الأهالي في المؤسسات الخاصة ، و تحويل الأهالي الى إنسان جديد يحمل فكرا خاضعا للغالب الذي هو المستعمر"، كما رفض مقولة المستعمر: "بأن الأهالي غير قابلين للتعليم".[3]

[1] _كامل خليل ، المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر التأسيس و التطور ، (1850.1951م) رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2008.2009.ص 147.

[2] _ غي برفيلي ، المرجع السابق ، ص 388.

[3] _ شريف بن حليس ، المرجع السابق ، ص 38.

و لكن كل طموحات و آمال النخبة الجديدة بأن التعليم الفرنسي سيحقق نهضة الجزائريين من جهة ، ويحقق المساواة من جهة أخرى ، لم تصادف التحقيق لأن الاستيطان هو الهدف الاستعماري و ليس الادماج كما تتصوره النخبة.[1]

3_موقف الادارة الاستعمارية: اهتمت الادارة الاستعمارية بهذه المسألة و ذلك لعدة اعتبارات أهمها:

اهتمام الدول الاستعمارية بصفة عامة بقضية التعليم في مستعمراتها و ذلك نتيجة لظهور العديد من التيارات الفكرية و الدينية في أوروبا تدعوا الى حقوق الإنسان و ضرورة ترقيتها ولو كان هذا إنسانا مستعمرا.

_ظهور النهضة العربية الاسلامية و تركيزها على تعميم التعليم و محاربة الغزو الأوروبي للعالم الاسلامي ، و لهذا بادرت الدول الاستعمارية ، و خاصة فرنسا ، منذ ظهور البوادر الأولى لهذه النهضة الى وضع سياسة تعليمية لفائدة الشعب حتى لا تتعرض للنقد و تتهم بكونها المسؤولة عن تأخر المسلمين و إعاقة تقدمهم بفعل تبنيها سياسة التجهيل ضد الشعوب المستعمرة.[2]

[1] _ عبد العالي فضل ، تطور أوضاع الجزائر الى بداية القرن العشرين (1830_1919م) دراسة تحليلية من خلال آراء و مواقف شخصيات جزائرية ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة الجزائر ، 2013.ص 49.

[2] _أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ج 3 ، ص 351.

لكن اذا كانت إدارة الاحتلال قد تبنت خيار تعليم الجزائريين فإن رجالها اختلفوا حول طبيعة و نوعية التعليم الموجه لهم ، فالبعض كان يريد تقديم تعليم محدود و بسيط لتخريج الجنود و المترجمين .....أما التعليم الذي يكون و يرقى و يرفع مستواه العقلي و يضمن له وظائف فهو حكر على الفرنسيين.[1]

إن مصدر هذا الخوف و القلق من تقديم تعليم كامل و عادي للجزائريين يكمن في اعتبار الفرنسيين أنه فضاء مناسب لتبلور الوعي السياسي و القومي.

لقد تسبب هذا الموقف من تعليم الجزائريين في غلق أفق ترقيتهم و قير آمال و طموحات العديد من الأجيال في مواصلة التعليم العالي أسوة الفرنسيين و الأوروبيين ، وهذا ما يفسر الحصيلة الهزيلة للتعليم الفرنسي الموجه للجزائريين غداة قيام الثورة التحريرية ، وأكّده "فرحات عباس" في قوله "كنا في 1956م حوالي 75 طبيبا و 20 صيدلانيا و 400 معلم و 03 مهندسين ، ولكن مع مليون عامل زراعي و 500000 خماس ،كان النظام الاستعماري معاديا لتعليم الأهالي لأنه كان بفضل تكوين رعاة و خادمات وعمال منازل.

أما البعض الآخر من رجال الادارة الاستعمارية فقد تبنى موقفا من تعليم الجزائريين يقوم على إعطائهم تعليما شاملا و حضاريا و ذلك بغرض تغيير الإنسان الجزائري و بناء إنسان جديد ، بهدف ادماجه في المجتمع الفرنسي ، وقد تبنى هذا الطرح الجمهوريون و عبّر عن موقفهم مدير أكاديمية الجزائر :شارل جان

[1] _أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 304.

مير"Charles Janmmaire و الذي كان يريد تقديم تعليم للجزائريين يتساوى و يشبه التعليم الموجه للأوروبيين.

4_ موقف المعمرين: تبنى المعمرون موقفا معارضا لتعليم الجزائريين و ذلك منذ الوهلة الأولى ، وعرقلوا كل الخطوات التي قامت بها الادارة الاستعمارية في هذا المجال مرتكزين على مؤسساتهم البلدية و المالية التي تهيم على الحياة العامة في الجزائر ، و لم يكونوا يرون من تكوين الجزائريين إلاّ في إطار تعليم مهني عملي لتوفير اليد العاملة الرخيصة و قد أوضح ذلك "جورج هاري" في قوله :"كان المعمرون يعتقدون بأنّه مهما كان شكل تعليم الأهالي فيجب أن ينحصر في التعليم المهني ولا يتعداه....."

و قد اتخذ المعمرون هذا الموقف لعدة اعتبارات و أسباب نذكر منها:

_الاعتبارات العنصرية: اعتبروا أن الجزائريين عنصرا منحط غير قابل للتعليم.

_الاعتبارات المالية: برّروا هذا بالكلفة المرتفعة لعملية تعليم الجزائريين.

_اعتبارات سياسية: اعتبروا أن هذا يولد فيهم نزعة الطموح و التمرد و توعيتهم سياسيا و ثقافيا واجتماعيا.[1]

أما بالنسبة للصحافة الفرنسية في الجزائر فقد كانت خاضعة لإدارة المستوطنين و هي تعتبر من وجهة نظرهم في مختلف القضايا ، و قد تناولت قصية تعليم الجزائريين بنوع من السخرية و اتهمت عقولهم بالجبن ، ففي نظرهم أن التعليم يكوّن متطرفين و ثوار ، وتزايد الوعي الوطني و الوطنية لدى الجزائريين.

[1] _أحمد بن داود ، المرجع السابق ، ص 47.50.

إن مشروع "جول فيري" و "جون كامبون" قد ألهب الصحف و الجرائد الاستعمارية ، و جعلها تناهض فكرة تعليم الجزائريين خاصة مرحلة التعليم العالي ، فيقول "شارل روبير أجرون :"لم يسبق للصحافة و الرأي العام على الصعيد المحلي ، أن عبّروا عن مناهضتهم للسياسة التعليمية بمثل تلك الشراسة التي أظهروها..."[1]

و كذلك نذكر أن السياسة التي أتى بها "شارل جونار" قد كانت مرفوضة من قبل المعمرين فقد كان موقفهم متشدد إزاء هذه السياسة ، فرفضوا معاملة الأهالي مثل الكولون و ارتقائهم الى مستوى المواطن الفرنسي و مشاركتهم في النفوذ و السيطرة ، و رأوا بأن بقائهم في حالة جهل أفضل بكثير.[2]

خلاصة: تباينت الآراء و اختلفت بين مؤيد ومعارض من انشاء هذه الجامعة فالجزائريين هناك من رأى فيها عامل للنهوض بالشعب الجزائري و انقاذه من الجهل و التخلف الذي يعيشون فيه أما البعض الآخر فرأى فيها أنها مؤسسة لا خير فيها و أنها ستغير من المقومات الشخصية و الهوية للشخص الجزائري و إبعاده عن دينه و لغته.

و نفس الشيء للفرنسيين فمنهم الذي شجّع على بناء وتطوير الجامعة لجعل الشعب الجزائري تابع و خاضع له و هذا ما يبين أن الجامعة جاءت من أجل خدمة مصالحها فقط و ليس من أجل التحسين من المستوى الفكري و العلمي للجزائريين ، أما المعارضين رأوا في الجامعة أنها هي التي ستكون داعم كبير لكي تجعل من الأهالي متمردين على السلطة الفرنسية و تعطيهم الشجاعة من أجل إحداث ثورة ضد المعمرين

[1] _عبد الحميد عومري ، الحياة الثقافية و الفكرية في الجزائر 1880_1914م ، رسالة دكتوراه في تاريخ الحركة الوطنية و الثورة الجزائرية ، جامعة جيلالي ليابس ، سيدي بلعباس ، 2017 ، ص 115.114.

[2] _رابح دبي ، المرجع السابق ، ص 158.

خاتمة

خاتمة:

تعتبر الجامعة في الأنظمة الاجتماعية المصدر الأساسي للخبرة ، و المحور الذي يدور حوله النشاط الثقافي في الآداب و العلوم و الفنون ، فمهما كانت أساليب التكوين و أدواته ، فإن المهمة الأولى للجامعة ينبغي أن تكون دائما هي التوصيل الخلاق للمعرفة في مجالاتها النظرية و التطبيقية ، و تهيئة الظروف لتنمية الخبرة الوطنية التي لا يمكن بدونها أن يحقق المجتمع أيّة تنمية حقيقية في الميادين الأخرى.

و بما أنها هي المرحلة الأخيرة من المنظومة التعليمية فإن وظيفتها ترجع الى الهياكل و الأسس التي ترتكز عليها مثل المناخ الثقافي و الاجتماعي الذي تعمل فيه.

فجامعة الجزائر نشأت نتيجة للمطالب السياسية و الاستيطانية للاستعمار الفرنسي في الجزائر و قد واكب توسع وتطور التعليم العالي تطور و توسع الاستعمار في الجزائر.

و لعلّ فتح مدرسة عسكرية للطب هو الذي فتح مجالا واسعا أمام الدراسات العليا المتخصصة و التي انبرت لها الجمعيات العلمية و العسكريين قبل أن تستدعي ضرورات التوسع و نتائج الاستيطان الكثيف إنشاء جامعة محلية كانت موجهة أساسا لأبناء المستوطنين أولا ، و ثانيا لخدمة المصالح الفرنسية في البلاد.

إن نشأت الجامعة جاءت نتيجة لتطور المدارس التحضيرية العليا للطب والصيدلة والعلوم، والآداب،

و الحقوق و عدد من المعاهد و ذلك بإجراء عدد من التعديلات فيها.

و إنّ إنشاء جامعة فرنسية في الجزائر لم يكن ممكنا قبل بداية القرن العشرين لأن المسألة كانت محل تجربة، بل أن الجامعات الفرنسية كان انتشارها محدودا في فرنسا نفسها بسبب قوانين مركزية تفرض انتشارا محدودا للجامعات.

اضافة الى هذا تعلق نجاح انشاء الجامعة و الاستمرار في تطورها الكمي و النوعي هو استقطاب الطلاب (سواء الفرنسيين أو الجزائريين) و ذلك من حيث استحداث التخصصات الازمة و الناتجة عن تطور العلوم و تلك اللازمة لتحقيق الأهداف الاستعمارية التي كانت تتطور هي الأخرى حسب المتطلبات المتزايدة للاستعمار.

و إن الحصيلة العلمية لجامعة الجزائر في الفترة الاستعمارية كانت هامة و نوعية في هذا المجال مكّنتها من التميز بهذا النوع من الدراسات الذي تمثل في تطبيق العلوم على بيئة الشمال الإفريقي. و من هذا الجانب لا ننسى أن فرنسا قد اختارت الجزائر من بين مستعمراتها الأخرى كتونس و المغرب من أجل تطبيق فكرة انشاء الجامعة و هذا لعدة أهداف و أسباب من بينها الموقع الاستراتيجي للجزائر و بأنها بوابة إفريقيا و من خلالها يمكن التحكم في باقي الدول المجاورة لها و نشر أفكارها و سياستها المختلفة.

أما بالنسبة للطلبة الجزائريين المسلمين الملتحقين بالجامعة فيمكننا القول أن ظروف دراستهم في هذه الجامعة كان أصعب من غيرها من الجامعات الفرنسية نظرا لطبيعة المواجهة المباشرة مع أبناء المستعمرين و بالتالي كانوا عرضة لمختلف أنواع الضغط النفسي و الحرمان الاجتماعي .و أكثر من ذلك تعرضوا لغزو ثقافي مكثف في وسط مغلق أثّر على شخصيتهم و موافقهم الوطنية و أفقهم و مستقبلهم مثل النخبة المفرنسة.

و يعتبر هذا العامل من أهم مبررات النضال الطلابي الذي عمل على إخراج الحركة الطلابية الى النور ، فمنذ ظهورها عملت على محاربة حالات الغبن الاجتماعي و إحلال التضامن بين الطلبة بعيدا عن المسائل السياسية . كما كان إنشاء الاتحاد العام للطلبة المسلمين وعاء لتجاوز الخلافات الايديولوجية التي شكّلت الحركة الوطنية

لكن رغم هذا يبقى أثر الجامعة كبير و لازال واضحا ليومنا هذا من خلال الغزو الثقافي الكثيف الممارس على فئة الطلبة و على مواقفهم و آرائهم و يمكننا أن نعتبر هذا جانبا سلبيا ، أما بالنسبة للجانب الايجابي للجامعة فهو أنها كوّنت مجموعة من الأشخاص الذين أفادوا المجتمع الجزائري في مختلف المجالات

و القطاعات.

و في الأخير نتمنى أن يتم الاهتمام بمثل هذا الموضوع و الارتقاء به الى مستوى علمي أكاديمي أعلى

و التوسع فيه ليلم بجميع النواحي.

الملحق1 : صورة الحاكم العام شارل جونار

الملحق 2 :صورة جول فيري

الملحق 3صورة جامعة الجزائر1909م

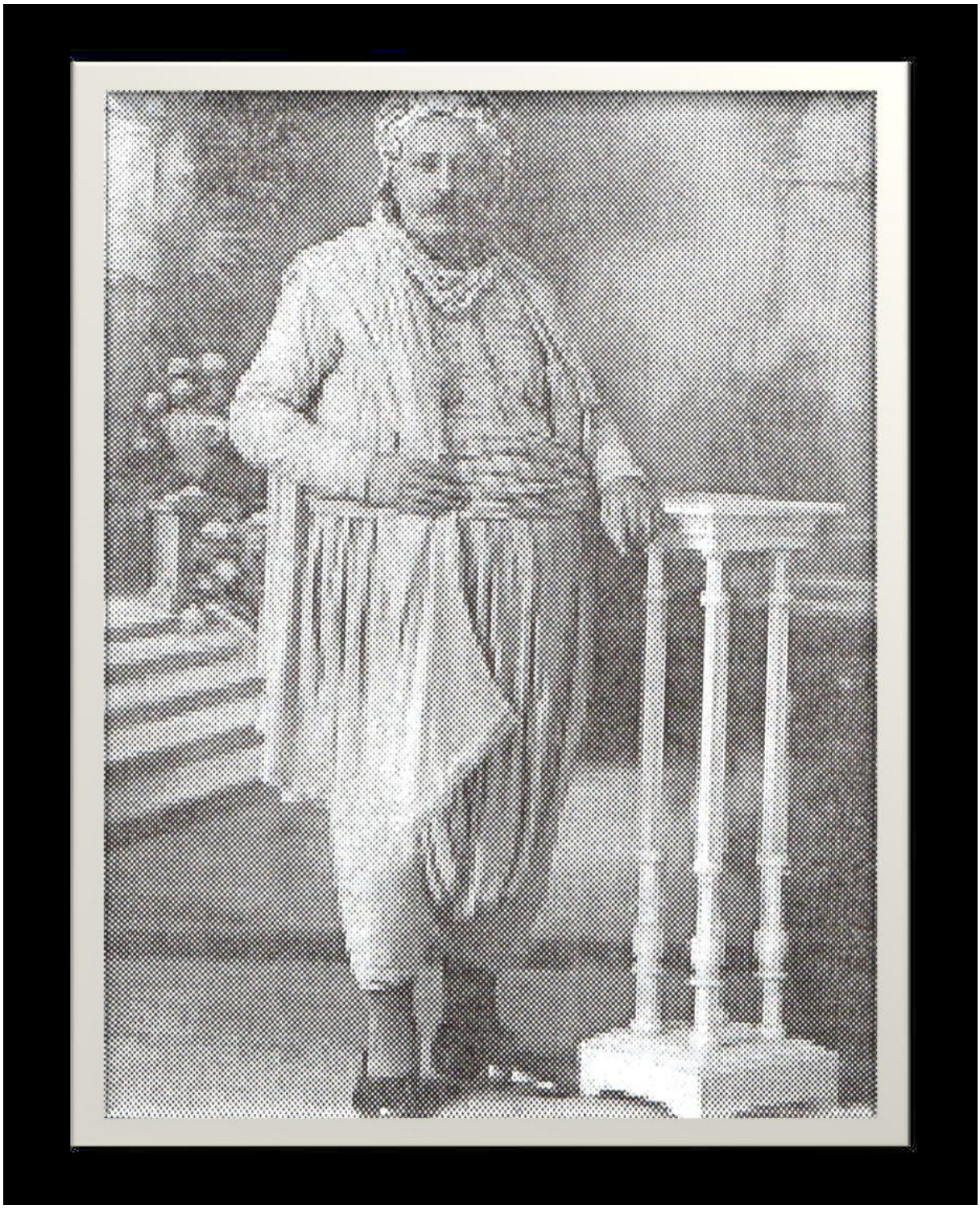

الملحق4 محمد بن أبي شنب،

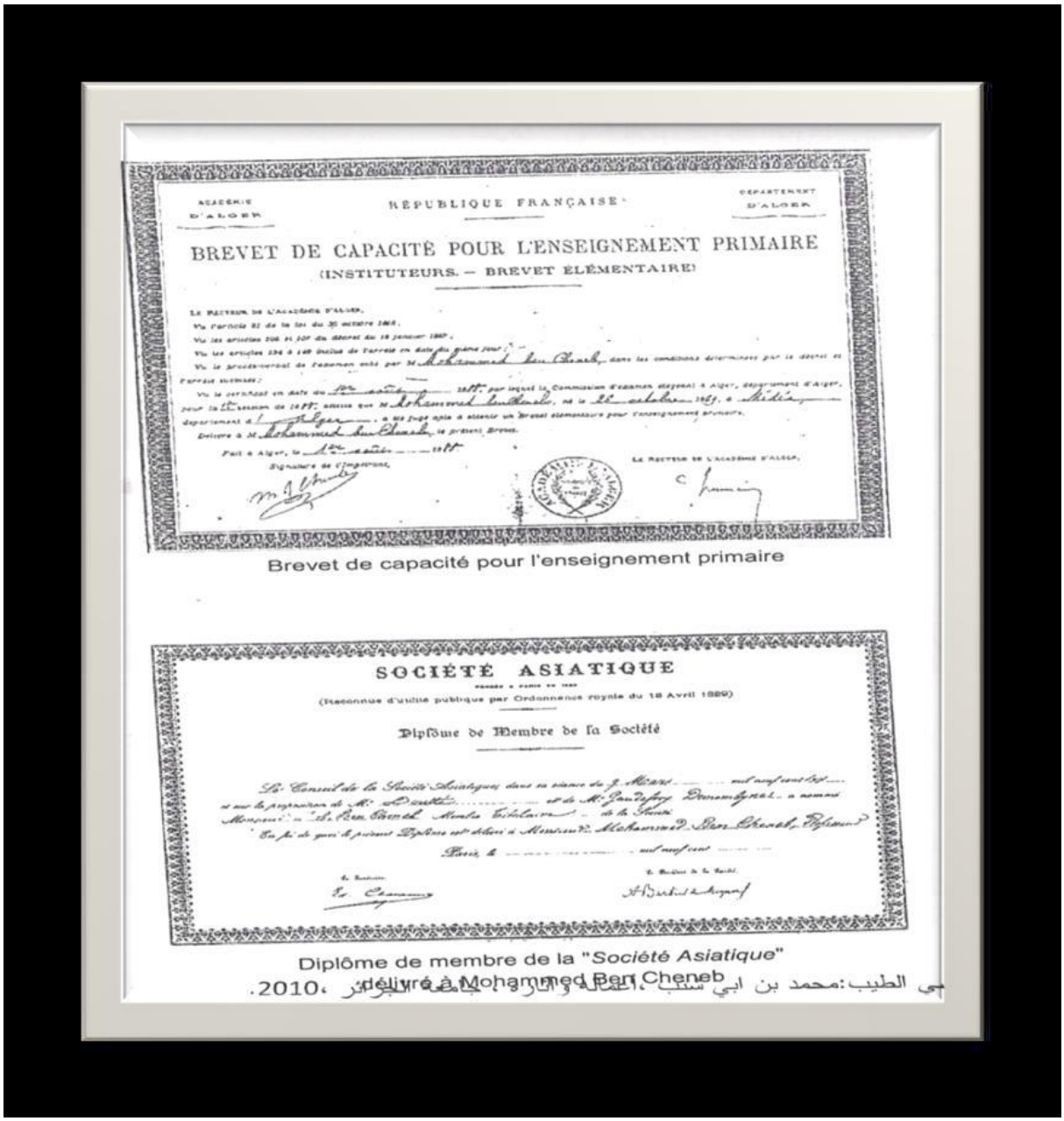

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

ACADÉMIE D'ALGER

DÉPARTEMENT D'ALGER

BREVET DE CAPACITÉ POUR L'ENSEIGNEMENT PRIMAIRE

(INSTITUTEURS. — BREVET ÉLÉMENTAIRE)

Brevet de capacité pour l'enseignement primaire

SOCIÉTÉ ASIATIQUE

(Reconnue d'utilité publique par Ordonnance royale du 18 Avril 1829)

Diplôme de Membre de la Société

Diplôme de membre de la "*Société Asiatique*"

délivré à Mohammed Ben Cheneb

محمد بن ابي شنب، الجزائر، جامعة الجزائر، 2010.

الطيب: محمد بن ابي شنب

الملحق 5 الشهادات العلمية لمحمد بن أبي شنب

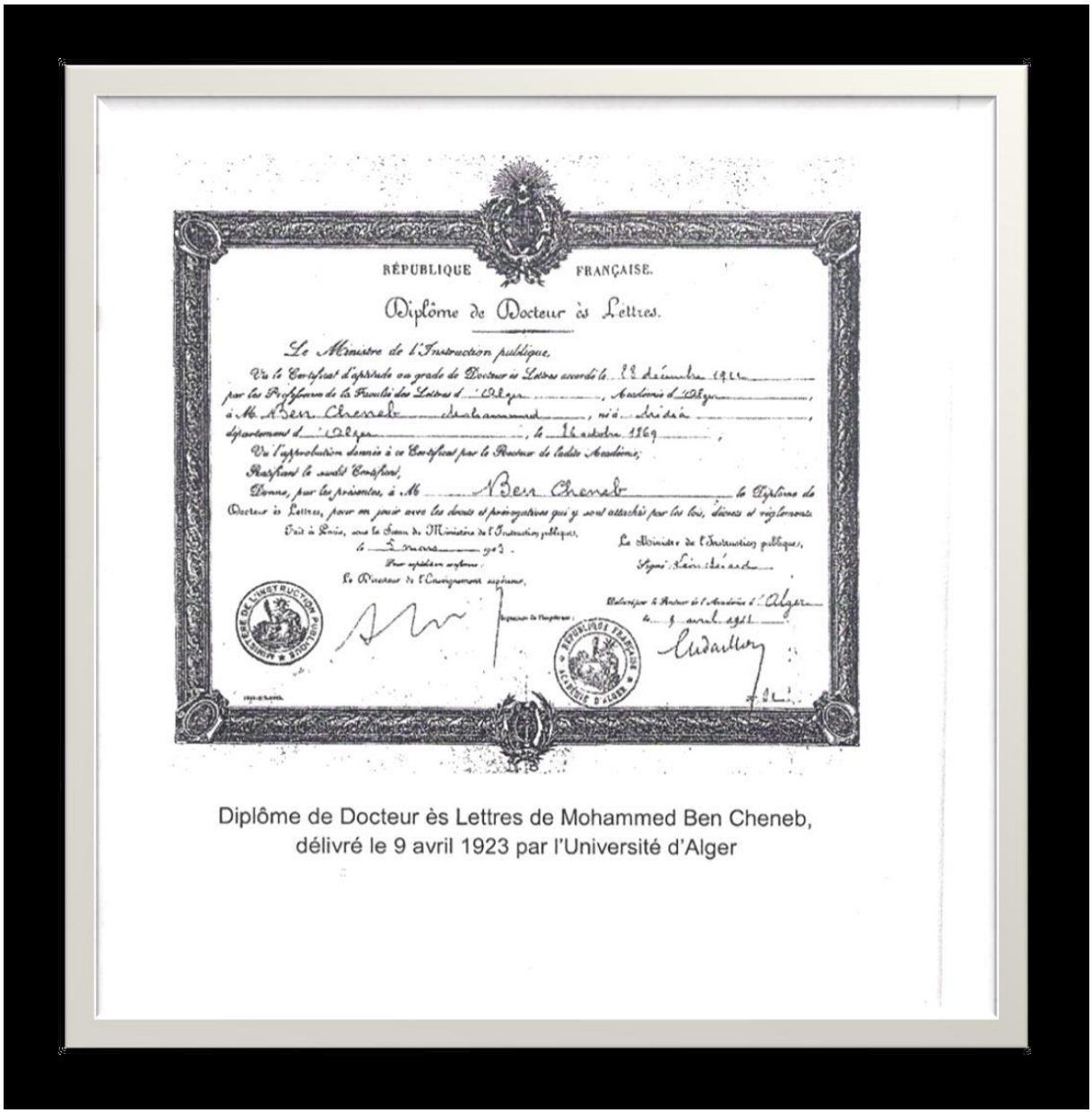

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

Diplôme de Docteur ès Lettres.

Le Ministre de l'Instruction publique,

Vu le Certificat d'aptitude au grade de Docteur ès Lettres accordé le 12 décembre 1922 par les Professeurs de la Faculté des Lettres d'Alger, Académie d'Alger, à Mr Ben Cheneb Mohammed, né à Miliana, département d'Alger, le 16 octobre 1869,

Vu l'approbation donnée à ce Certificat par le Recteur de ladite Académie;

Portant le susdit Certificat,

Donne, par les présentes, à Mr Ben Cheneb le Diplôme de Docteur ès Lettres, pour en jouir avec les droits et prérogatives qui y sont attachés par les lois, décrets et règlements.

Fait à Paris, sous le Sceau du Ministère de l'Instruction publique,
le 2 mars 1923.

Pour expédition conforme,
Le Directeur de l'Enseignement supérieur,

Le Ministre de l'Instruction publique,
Signé: Léon Bérard

Enregistré au Rectorat de l'Académie d'Alger
le 9 avril 1923

Diplôme de Docteur ès Lettres de Mohammed Ben Cheneb,
délivré le 9 avril 1923 par l'Université d'Alger

الملحق 6 دبلوم دكتوراه الآداب لمحمد بن أبي شنب

الملاحق:

الملحق1: صورة الحاكم العام شارل جونار

الملحق 2 : صورة جول فيري

الملحق 3 :صورة جامعة الجزائر 1909م

الملحق 4 :محمد بن أبي شنب

الملحق 5 :الشهادات العلمية لمحمد بن أبي شنب

الملحق 6 :دبلوم دكتوراه الآداب لمحمد بن أبي شنب

قائمة المصادر و المراجع:

المصادر و المراجع باللغة العربية:

المصادر:

_ المدني أحمد توفيق ، حياة كفاح ، ج 1 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1984 .

_ المدني أحمد توفيق ، كتاب الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1984.

_بن حليس شريف، الجزائر الفرنسية كما يراها الأهالي ، تر ، عبد الله و آخرون ، ط 1 ، دار بهاء الدين ، الجزائر، 2008.

_خوجة حمدان بن عثمان ، المرآة، تعريب و تقديم العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1975.

_محمد العربي ولد خليفة ، المنطقة العربية الاسلامية مدخل إلى نقد الحاضر و مساءلة الآخر، ط2، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر.

_ المراجع:

_آجرون شارل روبير ، تاريخ الجزائر المعاصر من الانتفاضة 1871م إلى اندلا ع حرب التحرير1954م ، تر: جمل فاطمي و آخرون ، ط1، دار الأمة ، الجزائر، 2008.

_ المدني أحمد توفيق ، جغرافية القطر الجزائري ، مكتبة النهضة ،1983.

_ الميلي محمد ، مواقف جزائرية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986م.

_بارفلي غي ، النخبة الجزائرية الفرنكوفونية (1900_1962)، تر: محمد مسعود و آخرون، دار القصبة، الجزائر ، 2007م.

_بن نعمان أحمد ، التعريب بين المبدأ أو التطبيق ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1981م.

_بن نعمان أحمد ، اشهدي يا جزائر، دار الأمة ، الجزائر ،2002.

_بن سعد الحميدي عبد الرحمان ، أنماط التعليم العالي في دول مجلس التعاون الخليج العربية ، الرياض، وزارة التعليم العالي 1999م.

_بلاح بشير ، تاريخ الجزائر المعاصرة من 1830م إلى 1989م ، ج1، دار المعرفة الجزائر.

بن ميمون الجزائري محد ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تحقيق محمد بن عبد الكريم ، الجزائر ، 1972م.

_ بن نبي مالك الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ، دار الفكر ، دمشق.

_ بوعزيز يحي ، ثورات الجزائر في القرن 19_20 ،دار البعث ، الجزائر ، 1980م.

_بلعباس محمد ، الوجيز في تاريخ الجزائر ، دار المعاصرة ، الجزائر 2009م.

_ تبران إيفون ، المجابهات الثقافية في الجزائر المستعمرة ، دار القصبة ، الجزائر ،2007م.

تركي رابح ، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح و التربية في الجزائر،ط3 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1981م.

_ جغلول عبد القادر ، الاستعمار و الصراعات الثقافية في الجزائر ، دار الحداثة ، لبنان.

_ حلوش عبد القادر ، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر،2010م.

حمادي عبد الله ، الحركة الطلابية الجزائرية 1871_1962م ، ط2، المؤسسة الوطنية للنشر و الإشهار، رويبة، 1995م.

_ خريف صالح ، عبد العزيز الثعالبي من آثاره و أخباره و أخباره في المشرق و المغرب ، دار الغرب الإسلامي، 1995م .

_ زرهوني الطاهر، التعليم في الجزائر قبل و بعد الاستقلال ، موقع للنشر، الجزائر ، 1993م.

_ زوزو عبد الحميد، نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر المعاصر1830_1900، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984م.

_ سعد الله أبو القاسم ، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، ج3، 1978م.

_سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1900_1939م،ج1،ج2،ج3،دار الغرب الإسلامي ، بيروت.

_سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، (1500_1830) ،ج1،ج2،ج3،ج5،ج6،دار الغرب الإسلامي، بيروت.

_سعيدوني نصر الدين ، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1988م.

_ شترة خير الدين، إسهامات النخب الجزائرية في الحياة السياسية و الفكرية التونسية 1900_1939م ، دار البصائر، الجزائر، 2009م.

_ شطوطي محمد ، سلسلة أسماء في التاريخ ابن شنب العالم والأديب ، دار الشرسار للنشر و التوزيع ، الجزائر،2003م.

_ صاري جيلالي، بروز النخبة المثقفة (1850_16950م) تر: عمر المراجعي، منشورات ANCP الجزائر، 2007م.

_طالب الإبراهيمي أحمد، من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية ، تر: حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر.

_ عباس فرحات ، حرب الجزائر و ثورتها على الاستعمار، تر: أبو بكر رحال، منشورات ANEP الجزائر،2006م.

_ عباد صالح ، الجزائر خلال الحكم التركي 1514_1830م،دار هومة للطباعة وللنشر والتوزيع، الجزائر،2005م.

_ عبد الطيف، تكون التخلف في الجزائر ، محاولة لدراسة حدود التنمية الرأسمالية في الجزائر بين عامي 1830_1962م، تر: محمد يحي ربيع و آخرون، الشرمة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1979م.

_ عبد النور خيثر وآخرون، منطلقات و أسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830_1954م،منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر1954م، الجزائر، 2007.

_ عميراوي حميدة، دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية(1827_1840)،ط1،دار البعث، الجزائر،1987م.

_ مياسي إبراهيم، مقاربات في تاريخ الجزائر(1830_1962).

_ هلال عمار، نشتط الطلبة الجزائريين إبان ثورة نوفمبر1954م،ط5،دارهومةللطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر،2004.

_الأطاريح:

_العمري طاهر، النخب الوطنية الجزائرية و مشروع المجتمع(1900_1940)،رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية ، قسنطينة،الجزائر،2003_2004.

_ بن داود أحمد، المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي في كل الجزائر و المغرب من خلال التعليم (1920_1954) ، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، وهران، 2016_2017.

_ بن شوش محمد، التعليم في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي (1830_1870) ،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، الجزائر، 2007_2008.

_بو هند خالد، النخب الجزائرية (1892_1942) نسبها و نشأتها و حركتها، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصرن2010_2011.

_ خليل كامل، المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر التأسيس و التطور(1850_1951) رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، باتنة،2008_2009.

_خميلي العكروت، جامعة الجزائر بين الأهداف الاستعمارية و تكوين الطلبة المسلمين الجزائريين (1909_1956) رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر، 2009.

_رابح دبي، السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر و دور جمعية العلماء في الرد عليها (1830_1962) ، رسالة دكتوراه في علوم التربية ،2010_2011.

_ فضل عبد العالي، تطور أوضاع الجزائر إلى بداية القرن العشرين(1830_1919) ،دراسة تحليلية من خلال آراء و مواقف شخصيات جزائرية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر،2013.

_مريوش أحمد، الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية و ثورة التحريرية ،رسالة دكتوراه في التاريخ المعاصر،2006.

_نصر الدين غراف، التعليم الإلكتروني مستقبل الجامعة الجزائرية ،دراسة في المفاهيم و النماذج ،رسالة دكتوراه في علم المكتبات،2010_2011.

_المجلات و الدوريات:

_ الشيخ بو عمران ، المجابهات الثقافية في الجزائر المستعمرة من (1880_1940)، مجلة الأصالة ، العدد6 ، الجزائر،1972.

_ ابن شنب سعد الدين، النهضة العربية في الجزائر في النصف الأول من القرن 14هـ، مجلة كلية الآداب ، العدد الأول، الجزائر، 1964.

_ بردي صليحة، الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني ، مجلة الذاكرة ، جوان 2018.

_ بوعزيز يحي، أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التسع عشر و العشرين، مجلة الثقافة ،العدد 63.

_ بوجمعة أكرم، أوضاع الجزائر من مطلع القرن العشرين ،مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية و الإنسانية،العدد28،الجزائر،2016.

_ زروف جيجيك، النخب في الجزائر (مصالي الحاج و فرحات عباس دراسة تاريخية و فكرية مقارنة)، العدد02 ، جامعة سطيف.

_ سميرة بوضياف، ملمح تكوين المعلمين و الأساتذة في الفترة الاستعمارية، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، العدد08 جامعة قسنطينة،2014.

_ سعيد عليوان، المشروع الثقافي الاستعماري الفرنسي في الجزائر خلال الثورة التحريرية المباركة، مجلة المعيار،العدد10، 2005.

_ مسعود العيد، حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة سيرتا، العدد03، قسنطينة، ماي، 1980.

_ هلايلي حنيفي، الجزائريون و تحقيق التراث خلال الفترة الاستعمارية على ضوء المجلة الإفريقية ،حاله محمد بن أبي شنب ،(1869_1929)، مجلة سيدي بلعباس.

_المراجع باللغة الأجنبية:

_ Mélia, histoire de l'université D'Alger, Alger , 1950.

_ Louis Paoli L'enseignement supérieur a Alger 1906 , Alger 1959

- abdallâh Abdi , reconstruction de bu , étude biographique no publier

- Charles jonnar , discours de M.jonnart gouverner général de

L'Algérie au banquet du conseil général de constante (6 mars 1908) , imprimerie administrative Victor Heinz , Alger 1908

- Ahmed mahas , le mouvement révolutionnaire algérien de la première guerre mondial a 1914, édition l'harmattan , paris 1979

- Charles robert ageron , les musulmans algériens et la France , (1870 – 1919) . (TL – buf – paris – 1968)

- L'Abid , L'école de médecine D 'Alger 150 ans d'histoire de 1857 – 2007 , L'étude no publier) .

فهرس الموضوعات:

الموضوع	الصفحة
إهداء	
شكر وثناء	
مقدمة	أ
قائمة مختصرات	
مدخل تمهيدي	5
ـ الفصل الأول: نبذة عن جامعة الجزائر	13
ـ المبحث الأول: السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر ـ المبحث الثاني: تعريف ونشأة جامعة الجزائر ـ المبحث الثالث: فروع جامعة الجزائر المبحث الرابع: الأهداف العلمية والاستعمارية للجامعة.	13 27 34 49
الفصل الثاني: إصلاحات فرنسا في الجامعة وأثرها على المجتمع الجزائري	74

ـ المبحث الأول: هياكل ومرافق الجامعة	74
ـ المبحث الثاني: إصلاحات الجامعة	82
ـ المبحث الثالث: آثار الجامعة على المجتمع الجزائري.	104
–المبحث الرابع: ردود الفعل على جامعة الجزائر.	116
خاتمة	124
الملاحق	127
فهرس المصادر والمراجع	134
فهرس الموضوعات	143